

شوق

الإمام الشهيد يزيد بن علي

(عليه السلام)

إعداد

يحيى قاسم أبو عواضنة

إخراج

دائرة الثقافة الجزائرية

الطبعة الرابعة
٢٠١٨ م / ١٤٣٩ هـ

إخراج
دائرة الشفافة القرآنية

www.d-althagafhalqurania.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم عن أصحابه الأخيار المنتجبين وعن سائر عبادك الصالحين.

وبعد

في الخامس والعشرين من شهر محرم في هذا العام يستذكر شعبنا اليمني العزيز من واقع مظلوميته الكبرى ومعاناته واضطهاده وما يواجهه في تصديه لقوى الشر والطغيان التي تستهدفه في حياته ووجوده، وفي أمنه وسلامه وفي استقراره، وتستهدفه في استقلاله وفي حريته وفي اقتصاده؛ يستذكر اليوم ثورة عظيمة ويوماً مجيداً، ويستلهم من التاريخ الإسلامي صفحة بيضاء، يستذكر حدثاً عظيماً مهماً بقيت آثاره وامتدت نتائجه على مدى الزمان حتى اليوم.

رائد تلك الثورة وقائدها هو عظيم من أعلام الأمة الإسلامية، ونجم من نجوم الهداية، ذلكم هو: الإمام الثائر الشهيد زيد بن علي زين العابدين بن سبط رسول الله الإمام الحسين بن فاطمة



٤----- ثورة الإمام الشهيد زيد بن علي (عليه السلام)

الزهراء بنت رسول الله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وابن علي
أمير المؤمنين (عليهم السلام).

وهذه المادة التي جمعتها عن حياة وسيرة الإمام زيد سلام
الله عليه هي في أغلبها من محاضرات السيد حسين رضوان الله
عليه، والسيد عبد الملك حفظه الله وذلك للاستفادة منها في
معرفة جزء من حياة هذا الرجل العظيم.

والله الموفق

بتاريخ ٢٥ محرم ١٤٣٩ هـ



كيف نقرأ تاريخ أهل البيت (عليهم السلام)؟

من المهم جداً أن نعود لكي نتأمل في تاريخ أعلامنا وعظماؤنا وهداتنا من نجوم العترة وأعلام الأمة، نتأمل في تاريخهم كيف كان اهتمامهم بالمسؤولية، كيف كانوا على مستوى عالٍ من الصبر، والثبات، والبذل، والعطاء، والهمة العالية، وما قدّموه في سبيل الله سبحانه وتعالى وفي سبيل المستضعفين من عباده، وما واجهوه من طغيان في اتجاه آخر وتخاذل في اتجاه ثانٍ هذا يزيدنا عزماً إلى عزمننا، وهمة إلى همتنا، وصبراً إلى صبرنا، واستعداداً للبذل والعطاء إلى ما هو موجود، فلهذه الذكريات ولهذه المناسبات أهميتها الكبرى ومردودها المهم على المستوى النفسي وعلى المستوى الثقافي والفكري وعلى المستوى العملي.

فما يربطنا بأعلام الهدى: أنبياء الله أولاً، ومن بعد أنبياء الله خط الهدى من أعلام الهدى، خط الهداية الممتد عبر الأجيال لكل زمن ولكل جيل ولكل أمة وحتى نهاية التكليف وانقضاء الحياة، ما يربطنا بهم هو الشيء الكثير والمهم جداً ليست فقط مجرد ذكريات فرح أو حزن، ليس فقط الحديث عن مولدهم أو الحديث عن استشهاد أي منهم، ما يربطنا بهم هو أعظم الروابط بعد ارتباطنا بالله سبحانه وتعالى بل هو جزء من ارتباطنا بالله سبحانه وتعالى، يربطنا بهم الاقتداء والاتباع والاهتداء والتمسك، هم لنا القدوة والقادة، وهم لنا الرموز، هم لنا النور



الذي نستضيء به في ظلمات الجهل والباطل والطفيان، هم صلة مع الله سبحانه وتعالى ومع هديه؛ ولذلك يجب أن نحصر أن نتعرف على تاريخهم المشرق فكل واحد منهم يمثل مدرسة متكاملة نتعلم منها أبلغ الدروس والعبر، وخصوصاً ونحن في مواجهة مباشرة مع قوى الشر والعدوان ونخوض أكبر معركة على مستوى الدنيا بكلها.

فعند كل حدث يمكن أن نستفيد منهم من خلال ذكرياتهم: ذكريات الهداية، مواقف العزة والشرف، والأخلاق والسلوكيات والأقوال والحكم التي نستفيد منها فيما يزيدنا وعياً ويقينا، فيما يزيدنا بصيرة، فيما نزداد فيه ثباتاً وعزماً وقوة إرادة؛ فالارتباط بهم ارتباط بالدين صلة مع الله سبحانه وتعالى .

كشفت واقعة كربلاء مدى السوء الذي قد وصلت إليه الأمة

مما كشفته واقعة كربلاء وحادثة كربلاء، واستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) سبط رسول الله وورث رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ كشفت هذه الفاجعة بكل ملابساتها، بالكيفية التي وقعت فيها، كشفت عن مدى السوء، مدى الانحراف، مدى التغير الكبير الذي كانت الأمة قد وصلت إليه، كشفت أن الأمة في واقعها ليست على خير، لا تسير في الاتجاه الصحيح، بل إن هناك تغيراً كبيراً بمستوى انقلاب كامل على الإسلام، على رسوله، على قرآنه، على قيمه، على مبادئه، على أخلاقه، على



مشروعه المتكامل، انحراف كبير، تغير كبير، وحالة انقلاب، وذهاب باتجاه جاهلية أخرى أسوأ من الجاهلية الأولى، أسوأ منها كثيراً كثيراً.

الأمة تدفع ثمن تقصيرها وتفريطها

وبعد تلك الجريمة المنكرة كيف يمكن أن تتوقع مصير الأمة بعد هذه الفاجعة بعد تلك المذبحة التي كان ضحيتها ما تبقى من أهل بيت النبوة كان ضحيتها حرمة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هل تتوقع أن يتورعوا عن قتل أحد أو يتورعوا عن هتك أي حرمة؟ وفعلاً نجد بأن الأمة منذ ذلك الحين لم تزد إلا انحطاطاً، لم تزد إلا هواناً، لم تزد إلا ابتعاداً عن دينها، عن رسولها، عن قيم إسلامها، لم تزد إلا ارتداءً في أحضان المجرمين، ووقوفاً في صف الطغاة، ومناصرةً وانطلاقةً في الإثم والعدوان والطغيان والإجرام.

وفي عام [١٢٢هـ] تتكرر المأساة نفسها بحفيد الإمام الحسين وهو: الإمام زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) هذا الإمام الذي تحرك في نفس الطريق، في نفس المشروع، في نفس الهدف، في نفس القضية، على نفس المبدأ، يتحرك على أساس إقامة رسالة الله، إحياء دين الله، هداية عباد الله، إصلاح عباد الله، إصلاح أمة جده، ورث عن جده المسؤولية، وورث عن جده القيم، قيم هذا الدين، عزيمة هذا الدين، الروحية التي يخلقها هذا الدين، والتي تنشأ أثراً من آثار هذا الدين، وكان (عليه السلام) يتحرك



على هذا الأساس في مواقفه، في حياته، يجسد تعاليم الإسلام متأسياً بجده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وارثاً عنه مكارم الأخلاق، أخلاق الإسلام الحميدة والعظيمة، وعلى مستوى راقٍ، على مستوى عظيم.

ما حصل في كربلاء أسس لظلم الأمة وقهرها على طول التاريخ

وبالعودة إلى تلك المرحلة التي تفصله بجده الإمام الحسين (عليه السلام) سنحاول أن نقدم صورة موجزة عن تلك الفترة الزمنية الصعبة من بعد كربلاء حتى قيام الإمام زيد بن علي (عليه السلام) في عام (١٢٢هـ) لنعرف الوضعية التي كانت قد وصلت إليها في زمن الإمام زيد (عليه السلام) فما حصل في كربلاء أسس لظلم الأمة وقهرها على طول التاريخ.

جزء من مسلسل الظلم الذي لحق بالأمة منذ جريمة كربلاء: عندما نستعرض ما منيت به الأمة من حكام جائرين واصلوا مسلسل الظلم والطغيان نجد الآتي:

يزيد بن معاوية الذي تولى من عام ٦٠هـ استمر حكمه الظالم للأمة لمدة ٣ سنوات كلها حافلة بالظلم والقهر لهذه الأمة التي فرطت في ابن نبيها وأسلمته لأعدائه ليقتلوه بدم بارد.

وقد أوجز سعيد بن المسيب تلك الفترة، وتلك السنوات التي كان يسميها بالشؤم فتحدث عن أكبر الجرائم فقال: في السنة



الأولى قتل الحسين بن علي وأهل بيت رسول الله، والثانية استبيح حرم رسول الله وانتهكت حرمة المدينة، والثالثة سفكت الدماء في حرم الله وحرقت الكعبة.

هذه من أبرز الجرائم التي حصلت في زمن يزيد خلال حكمه وإلا فكل حكمه جور وظلم فقد بقي يزيد مدة ثلاث سنوات تقريباً يمارس ظلمه وغيه، ويسوم الأمة سوء العذاب فحول البشر إلى عبيد، وحول أموال المسلمين إلى غنيمة له ولزمرته من أوباش الناس الذين أطلقهم كالكلاب المسعورة تنهش في جسد هذه الأمة.

نهاية الدولة السفينية

بعد هلاك يزيد بن معاوية ملك بعده معاوية بن يزيد بن معاوية بعد أبيه أربعين يوماً، وقيل: بل أربعة أشهر، هذا الرجل كان قد هاله ما فعل أبوه يزيد وجده معاوية من جرائم بحق هذه الأمة فخطب الناس، فقال - بعد حمد الله والثناء عليه - : أيها الناس فإننا بلينا بكم وبليتم بنا فما نجعل كراحتكم لنا وطعنكم علينا، ألا وإن جدي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله، وأحق في الإسلام، سابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين، وأبو بقية خاتم المرسلين، فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتته منيته وصار رهينا بعمله، ثم قلد أبي وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجاؤه،



فأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، فقلّت منعته، وانقطعت مدته، وصار في حضرته رهيناً بذنبه، وأسيراً بجرمه.

ثم بكى، وقال: إن أعظم الأمور علينا: علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمه، وحرقت الكعبة، وما أنا المتقلد أمورك، ولا المتحمل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظنا، وإن تكن شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها.

وبهذا البيان أعلن معاوية بن يزيد نهاية الدولة السفىانية ليتعرض بعدها للاغتيال وتبدأ مرحلة الدولة المروانية حيث تولى بعده مروان بن الحكم ليوصل هو وأولاده سيرة يزيد بن معاوية.

الأمة الإسلامية في قبضة طواغيت بني أمية

وقعت الأمة فيما كان قد حذرها الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) منه حينما نبه الأمة بخطورة بني أمية إذا تمكنوا من الحكم والسلطة قبل أن يصلوا إلى سدة الحكم؛ ففي وقت مبكر أطلق صيحة تحذيرية للأمة لتكون على حذر وليكون حجة عليها يوم القيامة؛ فأخبر عنهم أنهم إذا تمكنوا «اتخذوا دين الله دغلاً وعباده خولاً وماله دولاً». وهذا هو الواقع الذي امتد في تاريخ الأمة جيلاً بعد جيل، وإلى اليوم هذا هو واقع الأمة، فمنذ أن سيطر بنو أمية على رقاب هذه الأمة وإلى اليوم كل سلاطين



الجور كل الحكومات المستبدة الجائرة التي حكمت الأمة تشتغل على هذا النحو تستهدف الأمة في تحريف مفاهيمها الدينية في ضربها في أخلاقها وفي قيمها وفي مشروعها، وتستهدفها أيضاً - تستعبدها - تحول الناس إلى عبيد، إلى خدم ثم تستأثر بفيئتهم، بمالهم، بثرواتهم، وتفقر الأمة وتشتري الذمم من ذلك المال الذي هو حق للأمة؛ هذا هو الذي تعاني منه الأمة وعانت منه كثيراً.

ومنذ فاجعة كربلاء إلى ثورة الإمام زيد بن علي (عليه السلام) تسلط على الأمة من بعد معاوية بن يزيد ستة طواغيت [مروان بن الحكم، عبد الملك بن مروان، الوليد بن عبد الملك، سليمان بن عبد الملك، يزيد بن عبد الملك، هشام بن عبد الملك]. ما عدى فترة حكم عمر بن عبد العزيز والذي وصل إلى الخلافة بوصية من سليمان بن عبد الملك، وكانت فترة ولايته من (٩٩ إلى ١٠١هـ) أصلح في هذه الفترة جزءاً من فساد بني أمية، وخاصة ما يتعلق بظلم أهل البيت (عليهم السلام) وسبهم من على المنابر، ويكفيه أنه استبدل لعن الإمام علي وأهل البيت في آخر الخطبة الثانية بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ إلا أنه سرعان ما عاد ظلّمهم بوفاته وعودتهم مرة أخرى إلى التحكم على رقاب الأمة.



وفي حكم الطاغية (هشام بن عبد الملك) كان تحرك الإمام زيد بن علي (عليه السلام) وثورته المباركة.

وفي هذه الحقبة الزمنية . منذ استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في العام (٦١هـ) إلى تحرك الإمام زيد (عليه السلام) عام (١٢٢هـ). منيت الأمة بأقصى أنواع الظلم والطغيان... مما سبب انحطاط الأمة أكثر مما كانت عليه في زمن الإمام الحسين (عليه السلام).

مصير الأمة التي تفرط في قاداتها ورموزها

خلال هذه الفترة تحرك الأحرار في المجتمع الإسلامي ثائرين على طواغيت بني أمية إلا أن الآثار السيئة للتفريط والتقصير والتخاذل كانت تثقل كاهل المجتمع الإسلامي.

فلقد قامت حركات بعد ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) انتقاماً من قتلت الحسين (عليه السلام) ولكن لم يكتب لها الاستمرارية مثل:

- ثورة التوابين.
- ثورة المختار بن أبي عبيد.
- ومن تلك الثورات أيضاً ثورة الإمام أبو محمد الرضا الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام): الذي ولد حوالي عام ٤٢هـ، دعا إلى الله في أيام عبد الملك بن مروان بعد عام ٦٥هـ، وجاهد الأمويين الظالمين، وانظم إليه ابن الأشعث



ومن معه من التوابين في الجهاد للطغاة، ثم خذله أصحابه، ومات مسموماً زمن الوليد بن عبد الملك بعد عام ٩٠هـ، عمره ٤٨ أو ٤٩، ودفن بالبقيع في المدينة المنورة في الحجاز.

لماذا لم يكتب لهذة الثورات النجاء؟

كانت ثورات قادها أبطال ومحنون في السياسة وتهيئت لهم الظروف الكثيرة والكبيرة ولكن لماذا لم يكتب لها النجاء؟
السيد حسين رضوان الله عليه أجاب على هذا السؤال في (دروس من وحي عاشوراء) بقوله:

هم فرطوا، وعندما يفرط الإنسان فيما يسمع ستأتي البدائل المغلوطة، إما أن يتلقاها من أمثاله ممن يفهمون الأمور فهماً مغلوطاً، ممن لا يعرفون عواقب الأمور، أو من جهة نفسه هو فيكون هو من يحلل، ومن يحاول أن يضع لكل قضية حداً معيناً، يظن أنها لا تتجاوزة. ربما كانوا يتصورون أن الحسين هو المشكلة.. يمكن أن يُصفي الحسين وتبقى الأجواء طبيعية!.

بعد أن قُتل الحسين (عليه السلام) هل بقيت الأجواء طبيعية؟ هل استقر وضع أهل العراق؟ أم بدأ العراق يغلي، أم بدأت النكبات، والكوارث تتابع على أهل العراق جيلاً بعد جيل إلى هذا العصر الذي نحن فيه، لم يسلم أهل العراق، لم يسلم لهم دينهم، لم تسلم لهم دنياهم، لم تسلم أنفسهم..

وعندما يكون الإنسان من هذه النوعية فقد يصحوا في يوم من



الأيام لكن في الوقت الذي لا ينفع. أهل العراق ندموا بعد، وتاب الكثير من تفريطهم في الإمام الحسين إذ لم ينصروه وخرجوا ثائرين، وقتلوا مَنْ قتلوا الحسين (عليه السلام) وثأروا لقتله لكن بعد فوات الأوان، بعد فوات شخصية عظيمة كالحسين.

لو كانت تلك التضحية، لو كان ذلك الصمود، لو كان ذلك التفاني، لو كان ذلك الاهتمام، لو كان ذلك الوعي في وقته، يوم كان الحسين متوجهاً إلى الكوفة لاستطاعوا أن يغيروا وجه التاريخ بأكمله، وليس فقط وجه العراق، لاستطاعوا أن يعيدوا الأمة إلى ما كان يريد لها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن تكون عليه.

قتلوا الآلاف، وقُتل منهم الآلاف لكن بعد فوات الأوان، بعد فوات شخصية كالإمام الحسين. وأعظم ما تتعرض له الأمة، أو من أعظم نكبات الأمة أن تفقد عظماء كالحسين وعلي وزيد والحسن وأمثالهم من أعلام الهدى، خسارة عظيمة.

كيف كان تحرك الإمام زين العابدين علي بن الحسين

كيف كان دور الإمام زين العابدين (عليه السلام) خلال هذه الفترة؟

الإمام الوصي زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولد عام ٣٨هـ، وأجمع أهل الإسلام على أنه أفضل موجود في عصره، وأعبد أهل زمانه، وأعلمهم، وقد عده



الإمام الهادي يحيى بن الحسين. (عليه السلام) - من الأوصياء، وهذا مقام جليل، معروف حقه، له الإمامة والزعامة، وقد نجى من واقعة كربلاء لمرضه، وتوفي في المدينة المنورة عام ٩٤هـ، ودفن بالبقيع في المدينة المنورة في الحجاز، في مشهد أهل البيت (عليهم السلام).

السيد حسين رضوان الله عليه يشخص الوضع بعد الإمام الحسين (عليه السلام) وبالتحديد في زمن الإمام زين العابدين (عليه السلام) وكيف كان دوره فيقول في (شرح دعاء مكارم الأخلاق - الدرس الأول):

كان الواقع الذي عاش فيه [زين العابدين] واقعا مظلما، أمة هُزمت وقُهرت، وأدلت تحت أقدام يزيد، وأشبهه يزيد، لكنه هو من عمل الكثير الكثير وهو يوجه، وهو يعلم، وهو يربي، أليس الإمام زيد هو ابنه؟ من أين تخرج الإمام زيد؟ إلا من مدرسة أبيه زين العابدين.

إن الحالة التي كان فيها حالة فعلاً شديدة، باللغة الشدة النفوس مقهورة ومهزومة والأفواه مكممة، لكن زين العابدين من أولئك الذين يفهمون بأن المجالات دائماً لا تغلق أمام دين الله فانطلق هو ليعلم ويربي، ويصنع الرجال؛ لأنه يعلم أنه إن كان زمانه غير مهياً لعمل ما فإن الزمان يتغير فسيصنع رجالاً للمستقبل. وصنع فعلاً وخرج الإمام زيد (عليه السلام) شاهراً سيفه في سبيل الله، وترك أمة ما تزال تسير على نهجه من ذلك اليوم إلى الآن...



وكلنا نعرف ذلك الظرف القاهر الذي كان يعيشه زين العابدين (صلوات الله عليه)، لكن ننظر ماذا عمل زين العابدين، بنى زيدا، وبنى الكثير من الرجال، الذين انطلقوا فيما بعد حركة زيدية جهادية جيلا بعد جيل على امتداد مئات السنين...

وقد يكون في واقعه ليس ممن رضي لنفسه تلك الحالة التي كان عليها، لكن ذلك هو أقصى ما يمكن أن يعمل، لا يستطيع أن يخرج هو فيعلن الدعوة إلى إعلاء كلمة الله ونصر دين الله، ليس لضعفه هو، أو لعدم كماله، وإنما رأى الناس من حوله كلهم مهزومين، كلهم مقهورين، فمن الذي يستطيع أن يحركهم؟

الوضعيات التي يفرضها المتخادون

وهذه أحيانا تحصل، تحدث وضعيات كهذه، لكنها وضعيات هي نتيجة تقصير من قبل الناس أنفسهم يوم تخاذلوا مع علي (عليه السلام) كانت نتيجة تخاذلهم قوة للباطل في جانب بني أمية، جعلت مواجعتهم لذلك الباطل في أيام الإمام الحسن صعبة جداً، تخاذلوا معه أيضاً، جعلت المواجهة في أيام الإمام الحسين أكثر صعوبة أيضاً، وصل الحال إلى أن يصبح واقع الأمة في عصر زين العابدين هو الانكسار، الهزيمة المطلقة، هي الظروف الصعبة، هي الحالات السيئة التي يصنعها تخاذل الناس.

هي حالات يخلقها - أحياناً - ضعف وعي ممن ينطلقون للعمل، وإن كانوا تحت راية علي (عليه السلام) ويحملون اسم جند الله،



وأَنصار الله لكن وعيهم، لكن إيمانهم القاصر، إيمانهم الناقص أدى إلى أن يرتكبوا جناية على الأمة فضيعة.

من هو الإمام زيد؟

الإمام زيد بن علي (عليه السلام) هو واحدٌ من عظماء نجوم العترة، وواحدٌ من أعلام الأمة، رجل عظيم عرفته كل الأمة وأقرت بفضلِه وعملِه، وأقرت بمقامه العظيم في دين الله.

الإمام زيد بن علي (عليه السلام) عندما نريد أن نتعرف عليه فهو معروف وأشهر من أن نعرّف به، لكن إن تحدثنا من باب الاختصار والإيجاز، فعندما نتحدث عن أسرته ومنبته فهو من الأسرة الطاهرة والبقية الباقية من آل رسول الله محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، الذين أمرنا الله بمودّتهم ومحبتهم وجعل ذلك هو الأجر على تبليغ الرسالة، المكافأة لنبى الله محمد، والأجر له وتأمين ما قدمه للأمة كلها من هدىً وزكاءً، وإخراجاً لها من الظلمات إلى النور فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

هو من نجوم العترة الطاهرة الذين أمرنا الله بالتمسك بهم، والاهتداء بهم، والسير في طريقهم، والتمسك بمنهجهم، والافتقار بإثرهم، وواحد من نجوم تلك العترة الذين قال عنهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله: «إني تاركٌ فيكم

ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

هو واحدٌ من العترة الطاهرة، من نجومها وأعلامها وهداتها الذين قال عنهم الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق وهوى»، هذا منبته ومنبعه وأسرته.

ثم هو الذي كان ابناً لزين العابدين (عليه السلام)، أبوه زين العابدين وسيد الساجدين الذي أيضاً تُقرُّ كل الأمة بعظيم فضله وعظيم مقامه وسناء مكانته، زين العابدين (عليه السلام) وسيد الساجدين الذي هو نجل الإمام الحسين (عليه السلام) المتبقي في كربلاء من أسرته بلطف من الله وبرعاية كي لا ينقرض النسل الحسيني.

فزين العابدين (عليه السلام) بما هو عليه من العلم، والعبادة، والفضل، والتقوى، والمكانة العلية في دين الله والقرب من الله سبحانه وتعالى، هو الذي ربى زيدا، رباه التربية الإيمانية، رباه على الإيمان، على التقوى، على العلم، على الفضل.

ثم من بعد زين العابدين (عليه السلام) وبعد وفاته اهتم بتربيته أخوه الإمام الباقر (عليه السلام).

ولعظمة هذا الإمام العظيم والدور الذي سيحققه فقد روي أن النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) نظر ذات يوم إلى زيد بن حارثة



فبكى وقال: «المقتول في الله، المصلوب من أمتي، المظلوم من أهل بيتي سَمِيُّ هذا» وأشار إلى زيد بن حارثة ثم قال: «أدن مني يا زيد، زادك اسمك عندي حياً، فإنك سَمِيُّ الحبيب من ولدي».

قبل عام واحد من مولد الإمام دخل أبو حمزة الثمالي على زين العابدين فقال له زين العابدين:

يا أبا حمزة ألا أخبرك عن رؤيا رأيتها؟

قال: بلى يا ابن رسول الله.

قال: رأيت كأن رسول الله أدخلني جنة، وزوجني بحورية لم أر أحسن منها، ثم قال لي: يا علي بن الحسين: سمّ المولود زيداً فيهنك زيد.

ثم يقول أبو حمزة: وإنما لرؤيا دفعتها عناية الله وحكمته إلى التصديق، فما هي إلا أيام قلائل، وإذ بالمختار بن أبي عبيد يبعث إلى الإمام علي بن الحسين بفتاة سندية تدعى (جيذا) كان قد اشتراها، فوجدها حورية بحق: ديناً، وخلقاً، وحياءً، وأدباً، تجدر بأن تكون سكناً لعلي بن الحسين، فاختصها السجاد لنفسه، بعد أن خيرها بين أبنائه فأبت - في إجلال - إلا هو، ومنها أنجب ابنه المنتظر (زيد بن علي).

قال أبو حمزة: فحججت عاماً آخر فأتيت علي بن الحسين، فلما دخلت عليه وجدته حاملاً لطفل صغير، وهو يقول: يا أبا حمزة هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً.



الإمام زيد (عليه السلام) يتربى في حجر الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) الذي اختصه بتربية جهادية وأعدّه للمستقبل ليكون رجل المرحلة.

حتى وصل إلى درجة أنه صار يُشَبَّهُ بأَمير المؤمنين في الفصاحة والبلاغة والبراعة، وكان يعرف في المدينة بـ(حليف القرآن).

ويروى بأن الناس كانوا يتابعون كلام الإمام زيد، ويحفظونه كما يحفظ النادر من الشعر، والغريب من الحكم، ولهذا قال هشام في رسالة له إلى يوسف بن عمر:

(امنع أهل الكوفة من حضور زيد بن علي، فإن له لساناً أقطع من ظبة السيف، وأحصد من شبا الأسنه، وأبلغ من السحر والكهانة).

وقال أبو الجارود: قدمت المدينة فجعلت كلما سألت عن زيد بن علي قيل لي ذاك حليف القرآن.

نشأته المباركة

وهكذا نشأ زيد بن علي (عليه السلام) في تلك الأسرة الطاهرة المؤمنة التي هي على أرقى درجات الإيمان، تربى تربية الإيمان، تربية التقوى، تربية على الفضل والخير والقيم والأخلاق وتشرب فيها مبادئ الحق.

ونشأ نشأة مميزة، فكان متميزاً منذ بداية نشأته منذ بداية



شبابه متميزاً بتقواه، بإيمانه بخشيته من الله، متميزاً بفهمه الثاقب واستيعابه الكبير، ومتميزاً أيضاً بارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم، فهو في تلك المدرسة: مدرسة الهدى، مدرسة الحق، مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، هو (عليه السلام) اختصه اختصاصاً متميزاً بارتباط وثيق ومتميز بالقرآن الكريم، القرآن الكريم ينبوع العلم، ينبوع المعرفة، منبع الهدى، حتى عُرف زيداً (عليه السلام) بـ(حليف القرآن)، وهذا الارتباط الوثيق بالقرآن الكريم رأينا أثره حينما نقرأ التاريخ في شخصية الإمام زيد (عليه السلام) في أخلاقه، في اهتماماته، في مساره العملي ب كله.

عُرف الإمام زيد (عليه السلام) بأنه عظيم الخشية من الله، فكان حينما يقرأ بعضاً من آيات القرآن الكريم، ويتأملها أو يسمعها في بعض المقامات يُغمى عليه.

وعُرف أيضاً بهذا الأثر الإيماني في واقعه ب كله، في علاقته المتميزة بالله، في أخلاقه وقيمه، في المسؤولية ومواجهة الجائرين، فعلى مستوى الالتزام والتقوى هو القائل (عليه السلام): «والله ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، وما انتهكت لله محرماً منذ عرفت أن الله يعاقب عليه»، هل بعد هذه النشأة من نشأة، على هذا المستوى العالي من الالتزام والتقوى «ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، وما انتهكت لله محرماً منذ عرفت أن الله يعاقب عليه»؟.

هو أيضاً القائل: «والله لو علمت أن رضاء الله عز وجل في أن أقدم ناراً بيدي حتى إذا اضطرمت رميت بنفسي فيها



لفعلت» يعني: لو كان ذلك مني يرضي الله لفعلته، هكذا كان في انشاده إلى الله، في تقواه إلى الله، في ذوبانه في طاعة الله سبحانه وتعالى.

ثم في إطار المسؤولية أيضاً من أهم ما يُدلل على التقوى: مستوى اهتمامك بالمسؤولية، ليس فقط خشوعك في حالة صلاتك، أو تأثرك النفسي في مشاعرك وأنت تتلو القرآن؛ بل في المسارات العملية؛ والمسارات العملية هي من أهم الشواهد على التقوى والإيمان، وهكذا كان الإمام زيد (عليه السلام) سواءً على مستوى الالتزام والتقوى، أو على مستوى القيام بالمسؤولية ومواجهة الجائرين.

حرصه الكبير على الأمة واستشعاره للمسؤولية

الإمام زيد (عليه السلام) كان فيما يحمله من همّ وألم وحرص على إنقاذ أمة جدّه لدرجة عبّر عنها فقال: «وَاللّٰهُ لَوُدِدْتُ أَنْ يَدِيَ مَلصَقَةٌ بِالْثَرِيَا - الثَّرِيَا مَجْمُوعَةُ النُّجُومِ الْبَعِيدَةِ جَدًّا فِي عَنَانِ السَّمَاءِ - ثُمَّ أَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ أَوْ حَيْثُ أَقَعَ فَأَتَقَطَعَ قِطْعَةً قِطْعَةً وَأَنْ يُصَلِّحَ اللَّهُ بِذَلِكَ أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ».

هكذا كان فيما يحمله من همّ، فيما يستشعره من مسؤولية في عظيم رحمته بأمة جدّه، وحنانه وشفقته، إنسان. إنسان بقيم عظيمة يتحرّق على واقع الناس ليس لا إبالياً كما هو حال الكثير



من الناس حتى من المحسوبين على الدين ممن لا يبالي بالناس في أي حال كانوا وفي أي واد هلكوا وسقطوا.. لا!، حرقة القلب والمشاعر والأسف والألم على الواقع المرير والمهين الذي تعيشه الأمة، وبهذا الحرص تحرك في واقع الأمة ليعمل على استنقاذها مما هي فيه، ثم من تلك الدوافع دافع المسؤولية، فهو حليف القرآن، القرآن الكريم ولذلك كان يقول: «والله ما يدعني كتاب الله أن أسكت» ما يدعني كتاب الله أن أسكت.

هذا الكتاب الذي هو كتابنا جميعاً كأمة مسلمة، كمسلمين هذا الكتاب الذي يجب علينا أن نتبعه، أن نتمسك به، أن نطيع الله فيما أمرنا فيه الله جل شأنه في هذا الكتاب حملنا مسؤولية أن نقيم العدل، أن نواجه الظلم، أن نواجه الفساد، أن نواجه الطغيان والشر.

«والله ما يدعني كتاب الله أن أسكت»، هذا الانتماء الواعي للقرآن الكريم الذي ترتب عليه الالتزام، والعمل، والتطبيق، والاتباع، والتمسك، هو الذي غاب من واقع الأمة وللأسف، وإلاً فالقرآن ليس فقط كتاب زيد بن علي، أو أن ما فيه من توجيهات وأوامر حركت زيدا في ميدان الحياة، في واقع المسؤولية ليُقدّم نفسه قرباناً لله وليواجه الطاغوت دون خوف، أو تردد، أو تلوؤ.. لا!، ليس خاصاً بزید، وليست تلك المسؤوليات خاصة بالإمام زيد (عليه السلام)، لا.



نحن كمسلمين إنما بقدر إيماننا، بقدر اهتدائنا بهذا الكتاب بقدر مصداقيتنا في انتمائنا لهذا الدين، في ارتباطنا بهذا الكتاب الذي هو منهج الله الحق، هذا القرآن هذا الكتاب الذي لم يدع زيدا ليُسكت، لماذا اليوم يسكت الكثير والكثير من الذين يقدمون أنفسهم على أنهم متدينين، والبعض منهم ربما يقرأ هذا الكتاب عن ظهر قلب غيباً يحفظه آية آية، ويتلوها في أي وقت، كم في واقع الأمة من مدارس لتعليم القرآن، وتحفيظ القرآن، ونرى كثيراً من القائمين عليها الذين يتعاملون باستغلال؛ باستغلال في كل شيء، مسلكهم ومسارهم في الحياة بعيد كل البعد عن هذا الكتاب وعن توجيهاته وعن مساره الذي رسمه لنا في واقع الحياة.

الرحلة القسرية إلى الشام

لقد كان الإمام زيد كما أراد له أبوه زين العابدين (عليه السلام) فقد عمل منذ النشأة المبكرة على تحقيق هذه الأهداف، من خلال تدريسه لطلاب العلم، وعبر مناظراته وحواراته، وخطبه وكتبه، ورسائله.. وهكذا كان ينشر ثورته عبر كل وسيلة، وحتى في ترحاله، كان يحمل ثورته معه، ويلقي ببذورها حيث ما مر، فهو لما ودع مدينة جده في رحلته الإجبارية إلى الشام كان قد تحرك فيها، وأقام الحجة على أهلها بما يرتاح له ضميره، وهذا ما أثار قلق العرش الأموي، وجعل الطاغية هشام يسارع في طلبه.

بعد أن طلبه هشام إلى الشام شعر الإمام زيد (عليه السلام) بما يضمره هذا الطاغية من الشر، ولكن لم يكن أمام الإمام زيد (عليه



السلام، إلا المسير إلى الشام فتوكل على الله وودع أهله وأقاربه ودعا الله بهذا الدعاء:

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي مُكْرَهُ مَجْبُورٌ مُضْطَرٌّ غَيْرُ مُخْتَارٍ وَلَا مَالِكٌ لِنَفْسِي، اللَّهُمَّ وَاكْفِنِي كَيْدَهُ وَالْبِسْنِي جُبَّةً عَزَّ لَكَيْلًا أَخْشَعُ لِسُلْطَانِهِ، وَلَا أُرْهَبُ مِنْ جُنُودِهِ، اللَّهُمَّ وَابْسُطْ لِسَانِي عَلَيْهِ بِإِعْزَازِ الْحَقِّ وَنُصْرَتِهِ، كَيْ أَقُولَ قَوْلَ الْحَقِّ وَلَا تَأْخُذْنِي لَوْمَةٌ لَأْتَمُّ، وَلَا إِذْلالُ الْجَبَّارِينَ، اللَّهُمَّ وَاجْمَعْ قَلْبِي عَلَى هُدَايَتِكَ، وَأُرْنِي مِنْ إِعْزَازِكَ إِيَّايَ مَا يَصْغُرُ بِهِ عِنْدِي مُلْكُهُ، وَتَذِلُّ لِي نَحْوَتَهُ، اللَّهُمَّ فَاطْرَحِ الْهَيْبَةَ فِي قَلْبِهِ وَذَلِّ لِي نَفْسَهُ، وَاحْبَسْ عَنِّي كَيْدَهُ. ثُمَّ قَالَ: إِنِّي خَارِجٌ عَن وَطْنِي وَدَارِ هَجْرَتِي وَمَا أُرَانِي إِلَيْهَا رَاجِعٌ.»

الإمام زيد يلقي نظرة وداع على قبر جده المصطفى

ثم أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى إلى جنبه، ثم انصرف من صلاته فقال: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَشْرَفِ الرُّسُلِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللَّهِ، هَذَا آخِرُ عَهْدِي بِمَدِينَتِكَ، وَآخِرُ عَهْدِي بِقَبْرِكَ وَمَنْبَرِكَ، أَخْرَجْتُ يَا أَبَهْ كَارِهًا، وَسِرْتُ فِي الْبِلَادِ أُسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنِّي سَأَلْتُكَ الشَّفَاعَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يُؤَيِّدَنِي بِثِقَةِ الْيَقِينِ، وَعِزِّ التَّقْوَى، وَأَنْ يَخْتَمَ لِي بِشَهَادَةِ تَلْحِقَنِي بِأَبَائِي الْأَكْرَمِينَ وَأَهْلِي الطَّاهِرِينَ.



الإمام زيد يحط رحاله في عاصمة الدولة الأموية

تذكر الروايات بأن الإمام زيداً (عليه السلام) استدعى بقوة الدولة الأموية إلى الشام بعد أن مارس الإمام زيد جهاد الكلمة وبدأ بتكوين الأمة التي تثور ضد الطغيان الأموي، وصل الإمام زيد (عليه السلام) إلى (الرصافة) وحبس هناك حبساً سياسياً لمدة خمسة أشهر.

تجاهل هشام بن عبد الملك الإمام زيد (عليه السلام) لكن الإمام فرض نفسه على الناس في السجن وفي خارج السجن، وأصبح محور الحديث في مجالس الشام عموماً، أعجبوا بعلمه وسماحته، وشجاعته في كل ما يطرح، وأقل ما يقال أنه لفت أنظارهم إلى الحق، وصحح الكثير من المفاهيم، وأبان الكثير من الحقائق التي حاول الأمويون إخفائها زمناً طويلاً.

وبعد تجاهل من الطاغية هشام كما هي عادة الطواغيت أمر بإدخال الإمام زيد عليه، أدخل الإمام زيد (عليه السلام) إلى هشام بن عبد الملك ثلاث مرات وكان كل مرة يلقن هشاماً درساً قاسياً ويفضحه أمام الحاضرين في مجلسه، عندما كان ينطق بالحق في مجلس هشام، ولا يخشى في الله لومة لائم، ممتثلاً قول رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله: «أفضل الجهاد كلمة حق في وجه سلطان جائر».



الدخول الأول

دخل الإمام زيد على هشام بن عبد الملك فتجاهله هشام
فانبرى الإمام زيد قائلاً:

السلام عليك أيها الأحول وإنك لجدير بهذا الاسم.

فاستشاط هشام غضبا وقال: أنت زيد المؤمل للخلافة، وما
أنت وذاك وأنت ابن أمة.

قال زيد (عليه السلام): «إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن
بلوغ الغايات ولا أعرف أحدا أحب عند الله من نبي بعثه وهو
ابن أمة وهو إسماعيل بن إبراهيم والنبوة أعظم عند الله من
الخلافة ثم لم يمنع ذلك أن جعله الله تعالى أبا للعرب وأبا
لخير النبيين محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) فلو كانت الأمهات
تقصر عن بلوغ الغايات لم يبعثه الله نبياً وما تقصيرك برجل
جده رسول الله وأبوه علي بن أبي طالب».

فلما خرج زيد قال هشام لجلسائه: أستم زعمتم أن أهل هذا
البيت قد انقضوا لا لعمر الله ما انقض قوم هذا خلفهم.

الدخول الثاني

واستدعاه هشام مرة ثانية؛ فجاء وفي مجلسه يهودي يسب
رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فانتهره زيد (عليه السلام) وقال:
يا كافر أما والله لئن تمكنت منك لأختطفن روحك.

فقال هشام: مه يا زيد لا تؤذي جليسا.



فخرج زيد (عليه السلام) وهو يقول: «من استشعر حب البقاء استدثر الذل إلى الفناء».

وقال: «والله إنني لأعلم بأنه ما أحب الحياة قط أحد إلا ذل».

الدخول الثالث

دخل عليه مرة ثالثة وقد سمع بأن هشام بن عبد الملك قد أعلن على رؤوس الملأ في يوم حج وأقسم أن لا يأمره أحد بتقوى الله إلا ويقطن رأسه فلما دخل عليه الإمام زيد قال له: اتق الله، يا هشام! فقال: أو مثلك يأمرني بتقوى الله؟ فقال: نعم! إن الله لم يرفع أحدا فوق أن يؤمر بتقوى الله ولم يضع أحدا دون أن يأمر بتقوى الله.

فقال هشام هذا تحقيق لما رفع إلي عنك، ومن أمرك أن تضع نفسك في غير موضعها وتراها فوق مكانها؟ فترفع على نفسك واعرف قدرك ولا تشاور سلطانك ولا تخالف إمامك.

فقال الإمام زيد: «من وضع نفسه في غير موضعها أثم بربه ومن رفع نفسه عن مكانها خسر نفسه ومن لم يعرف قدره ضل عن سبيل ربه ومن شاور سلطانه وخالف إمامه هلك. أفتدري يا هشام من ذلك؟ ذلك من عصى ربه وتكبر على خالقه وتسمى باسم ليس له وأما الذي أمرك بتقوى الله فقد أدى إلى الله النصيحة فيك وذلك على رشدك».



فوثب هشام من مجلسه وقام قائلاً: أخرجوه من مجلسي ولا يبيتن في معسكري.

فخرج زيد وهو يقول: «سأخرج ولن تجدني والله إلا حيث تكره».

وخرج وهو يقول: والله ما كره قوم قط حر السيوف إلا ذلوا. هذه المواقف تحمل دلالة واضحة على مدى ثقته بالله، وإجلاله لله، وارتباطه بالله سبحانه وتعالى، واحتقاره للطغاة والمتجبرين المنحرفين عن منهج الله سبحانه وتعالى، لقد بلغ الحال في مرحلة ذلك الطاغية المجرم، المستبد، المستحکم والمتحکم على الأمة بكلها، ذلك الطاغية الجائر الذي قال: والله لو قال لي أحد: اتق الله لضربت عنقه.

فلم يخف ولم يرهب منه ولم يتهرب من تقديم مثل هذا الأمر والنصح: اتق الله يا هشام.

تبين لهشام أنه - بلسانه وحججه ومناظراته له في مجلسه وإلقاء الدروس والعظات على أهل الشام والمسجونين - بات يشكل خطراً عليه؛ لهذا افتعلت بحقه قضية عامل العراق (خالد القسري) وتزويرهم على لسانه أنه أودع الإمام زيداً مائلاً، كل ذلك للجمععة والتشويش على التحرك الجهادي الذي كان يمارسه الإمام سلام الله عليه.



ومن دمشق إلى العراق

وهكذا انتهت إقامة الإمام في الشام ليرسله هشام بعدها إلى واليه في العراق ليتدبر أمره وكتب هشام إلى يوسف بن عمر: إذا قدم عليك زيد بن علي فاجمع بينه وبين خالد بن عبد الله القسري^(١)، ولا يقيمن قبلك ساعة واحدة، فإني رأيت رجلاً حلوا اللسان شديد البيان خليقاً بتمويه الكلام، وأهل العراق أسرع شيء إلى مثله.

فلما قدم زيد الكوفة دخل إلى يوسف فقال: لم أشخصتني من عند هشام؟ قال: ذكر خالد بن عبد الله القسري أن له عندك ستمائة ألف درهم. قال: فأحضر خالدا! فأحضره وعليه حديد ثقيل، فقال له يوسف: هذا زيد بن علي، فاذكر ما لك عنده! فقال: والله الذي لا إله إلا هو ما لي عنده قليل ولا كثير، ولا أردتم بإحضاره إلا ظلمه.

فأقبل يوسف على زيد، وقال له: إن أمير المؤمنين أمرني أن أخرجك من الكوفة ساعة قدومك.

قال: فأستريح ثلاثاً، ثم أخرج.

قال: ما إلى ذلك سبيل.

قال: فيومي هذا.

(١) خالد بن عبد الله القسري هذا كان أحد عمال بني أمية المخلصين انتهى به الحال إلى أن يكون أحد ضحاياهم بالسجن ثم أخيراً بالقتل.



قال: ولا ساعة واحدة.

فأخرجه مع رسل من قبله، فتمثل عند خروجه بهذه الأبيات:
منخرق الخفين يشكو الوجى تنكبه أطراف مرو حداد
شرده الخوف وأزرى به كذلك من يكره حر الجلال
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد
فلما صار رسل يوسف بالعذيب انصرفوا، وانكفأ زيد راجعاً إلى
الكوفة.



بداية التحرك الثوري ورسم معالمه

أقام بالكوفة بضعة عشر شهراً، وأرسل دعواته إلى الآفاق يدعون الناس إلى بيعته.

وأقبلت الشيعة وغيرهم يختلفون إليه ويبايعون حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصة، سوى أهل المدائن، والبصرة، وواسط والموصل وخراسان، والري، وجرجان.

فكان يقول في دعوته: أيها الناس إنني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله)، وإلى جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين، وقسم الفيء بين أهله، ورد المظالم، ونصرة أهل البيت على من نصب لهم الحرب، وإلى إحياء السنن وإماتة البدع.

قال أبو حنيفة لما أتته رسل الإمام زيد (عليه السلام): هو والله صاحب الحق، وهو أعلم من نعرف في هذا الزمان، فاقترأه مني السلام، وأخبراه أن مرضاً يمنعني من الخروج معه، وأرسل بثلاثين ألف درهم لإعانتته على الجهاد، وقال: والله لئن شفيت لأخرجن معه، وقد كان يقول رحمه الله: ضاهى خروجه خروج رسول الله يوم بدر.

وقال الأعمش: والله لولا ضرة بي لخرجت معه.

ودفع جعفر الصادق بولديه للخروج معه وقال: من قتل مع عمي زيد كمن قتل مع الحسين ومن قتل مع الحسين كمن قتل



مع علي بن أبي طالب ومن قتل مع علي كمن قتل مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

الظروف التي تحرك فيها الإمام زيد (عليه السلام)

كانت الظروف التي تحرك فيها الإمام زيد بن علي (عليه السلام) هي ظروف صعبة، ظروف كانت الدولة الأموية في أوج قوتها مسيطرة على كل العالم الإسلامي في ظل واقع قائم على الخضوع والخنوع والاستسلام، لا أحد يصدع بالحق ولا أحد يتكلم ولا أحد يعارض. يعمل الولاة الأمويون تحت قيادة الملك الأموي المستبد ما يشاؤون، ويفعلون ما يريدون، والجميع غارق في الصمت، والكل يعيشون حالة الاستسلام للأمر الواقع، فكل ما نقضوه من عرى الإسلام، وكل ما طمسوه من معالم الإسلام، وكل ما أوغلوا في عباد الله فساداً؛ الكل لا يعترض ولا يحتج ولا ينتقد ولا يجرؤ على أن يكون له موقف، حالة الذل وحالة الخضوع والاستسلام هي الحالة المسيطرة على الأمة بأكملها.

كل الفئات التي يمكن أن يراهن عليها المجتمع لأن يكون لها موقف إيجابي أو تسعى للتغيير أو تعمل لإصلاح الواقع كلها صامتة جامدة.

طبقة العلماء والمثقفون والعباد الكل صامتون والكل ساكتون وحالة رهيبة من الذل والخوف والفرع وحالة طاغية من الهيمنة الكبيرة والسيطرة التامة على واقع الأمة. قبضة حديدية



على الواقع وهيمنة واستبداد وقمع وإذلال جعل الكل في حالة استسلام تام وعجز واضح.

لقد كانت الأوضاع في زمنه (عليه السلام) متردية إلى أبعد الحدود؛ فالفساد مستشري في كل المجالات ووصل الحال إلى درجة الإساءة إلى المقدسات وعلى رأسها القرآن الكريم ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أما لعن الإمام علي وفاطمة والحسن والحسين فقد صارت سنة يجهر بها من على منابر الجمعة.

وقد شخص الإمام زيد (عليه السلام) تلك الوضعية المتردية في دعاء لخص فيه ما تعيشه أمة جده من الظلم والقهر وضياح الحق، وتطلعه إلى تغيير هذا الواقع بقوله:

«اللَّهُمَّ وَقَدْ شَمَلَنَا زَيْغُ الْفِتَنِ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْنَا غَشْوَةُ الْحَيْرَةِ، وَقَارَعَنَا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ، وَحَكَمَ عَلَيْنَا غَيْرُ الْمَأْمُونِينَ عَلَى دِينِكَ، وَابْتَزَّ أُمُورَنَا مِنْ نَقْصِ حَكْمِكَ وَسَعَى فِي إِتْلَافِ عِبَادِكَ، وَعَادَ فِينَا دُؤْلَةٌ، وَإِمَامَتْنَا غَلَبَةٌ، وَعَهْدُنَا مِيرَاثًا بَيْنَ الْفَسَقَةِ، وَاشْتَرَيْتِ الْمَلَاهِي بِسَهْمِ الْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ، وَرَتَعَ فِي مَالِ اللَّهِ مَنْ لَا يَرَعَى لَهُ حُرْمَةً، وَحَكَمَ فِي أَبْشَارِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ الدِّمَةِ، وَتَوَلَّى الْقِيَامَ بِهِ فَاسِقُ كُلِّ مَحَلَّةٍ، فَلَا ذَائِدُ يَذُودُهُمْ عَنْ هَلَكَةٍ، وَلَا رَادِعُ يَرُدُّعُهُمْ عَنْ إِرَادَتِهِمُ الْمَظْلَمَةَ، وَلَا رَاعٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بَعِينَ الرَّحْمَةِ، وَلَا ذُو شَفَقَةٍ يَشْفِي ذَاتَ الْكَبْدِ الْحَرَاءِ مِنْ مَسْغَبَةٍ، فَهَمْ هُوَ لَاءِ صَرَعَى ضَيْعَةٍ، وَأَسْرَى مَسْكَنَةٍ، وَخُلَفَاءُ كَابَةِ وَذَلَّةٍ.

اللَّهُمَّ وَقَدْ اسْتَحْصَدَ زَرْعُ الْبَاطِلِ وَبَلَغَ نَهَائِيَّتَهُ، وَاسْتَغْلَظَ



عَمُودُهُ وَخَرَفَ وَوَلِيدُهُ، وَاسْتَجْمَعَ طَرِيدُهُ، وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ.
 اللَّهُمَّ فَاتِحْ لَهُ مِنَ الْحَقِّ يَدًا حَاصِدَةً تَصْرَعُ بِهَا قَائِمَهُ، وَتَهْشِمُ
 سُوقَهُ، وَتَجْتِ سَنَامَهُ، وَتَجْدَعُ مَرْغَمَهُ. اللَّهُمَّ وَلَا تَدْعُ لَهُ دُعَاةً
 إِلَّا قَصَمْتَهَا، وَلَا جُنَّةً إِلَّا هَتَكْتَهَا، وَلَا كَلِمَةً مَجْتَمِعَةً إِلَّا فَرَقْتَهَا،
 وَلَا سَرِيَّةً تَعْلُو إِلَّا خَفَقْتَهَا، وَلَا قَائِمَةً عَلِمَ إِلَّا خَفَضْتَهَا، وَلَا
 فَائِدَةً إِلَّا أَبَدْتَهَا.

اللَّهُمَّ وَكُورِ شَمْسَهُ، وَحُطِّ نَوْرَهُ، وَادْمَغْ بِالْحَقِّ رَأْسَهُ، وَفُضِّ
 جُيُوشَهُ، وَأذْعِرْ قُلُوبَ أَهْلِهِ.

اللَّهُمَّ لَا تَدْعَنَّ مِنْهُ بَقِيَّةً إِلَّا أَفْنَيْتَ، وَلَا نَبْوَةً إِلَّا سَوَيْتَ، وَلَا
 حَلْقَةً إِلَّا أَكَلَّتْ، وَلَا حَدًّا إِلَّا قَلَّتْ، وَلَا كِرَاعًا إِلَّا اجْتَحَتْ، وَلَا
 حَامِلَ عِلْمٍ إِلَّا نَكَسَتْ. اللَّهُمَّ وَأَرْنَا أَنْصَارَهُ بَعَائِدَ بَعْدِ الْإِلْفَةِ،
 وَشَتَى بَعْدَ اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَمُقْتَعِي الرُّؤُوسِ بَعْدَ الظُّهُورِ عَلَى
 الْأُمَّةِ.

اللَّهُمَّ وَأَسْفِرْ عَن نَّهَارِ الْعَدْلِ، وَأَرِنَاهُ سَرْمَدًا لَا لَيْلَ فِيهِ،
 وَأَهْطِلْ عَلَيْنَا نَاشِتَتَهُ، وَأَدِلَّهُ مِمَّنْ نَاوَاهُ.

اللَّهُمَّ وَأَحْيِي بِهِ الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ، وَاجْمَعْ بِهِ الْأَهْوَاءَ
 الْمُخْتَلِفَةَ، وَأَقِمْ بِهِ الْحُدُودَ الْمُعْطَلَةَ، وَالْأَحْكَامَ الْمُهْمَلَةَ،
 وَاشْبِعْ بِهِ الْخِمَاصَ السَّاعِبَةَ، وَأَرِحْ بِهِ الْأَبْدَانَ اللَّائِغَةَ مِنْ
 ذَرِيَّةِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْيَاعِهِمْ،
 وَأَنْصَارِهِمْ، وَمَحْبِيهِمْ، وَعَجَّلْ فَرَجَهُمْ وَأَنْتِيأَشَهُمْ، بِقُدْرَتِكَ
 وَرَحْمَتِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ».

ومن مواضعه التي كان يتحدث فيها عن وضعية الأمة قوله:



وقديماً اتخذت الجبابرة دين الله دغلاً، وعباده خولاً، وماله دُولاً، فاستحلوا الخمر بالنبيذ، والمكس بالزكاة، والسحت بالهدية، يجبونها من سخط الله، وينفقونها في معاصي الله، ووجدوا على ذلك من خونة أهل العلم والتجار والزراع والصناع والمستأكلين بالدين أعواناً، فبتلك الأعوان خَطَبَتْ أئمة الجور على المنابر، وبتلك الأعوان قامت راية الفسق في العشائر، وبتلك الأعوان أخيف العالم فلا ينطق، ولا يتعظ لذلك الجاهل فيسأل، وبتلك الأعوان مشى المؤمن في طبقاتهم بالتقية والكتمان، فهو كاليتم المفرد يستذله من لا يتق الله سبحانه».

وفي ظل هذا الواقع المتردي كان صوت الإمام زيد هو الصوت السابق الأول الذي كسر ذلك الواقع، وحطم تلك القيود التي كبلت الأمة وأذلتها؛ تحرك بحركة متميزة بمنهجية القرآن الكريم والثقة العالية بالله سبحانه وتعالى وهو القائل (عليه السلام) وقد تحدث إلى جابر الجعفي، أحد أصحابه، يا جابر: «لا يسعني أن أسكت وقد خوف كتاب الله وتحوكم إلى الجبت والطاغوت لا يسعني أن أسكت».

وكان يقول: والله لو علمت عملاً هو أرضى الله تعالى من هذا الذي وضعت يدي فيه لفعلته ولأتيته، لكني والله لا أعلم عملاً هو أرضى من قتال أهل الشام.



المبادئ التي تحرك على أساسها الإمام زيد

وهكذا تحرك، وهكذا وجّه دعوته إلى الأمة، ويخاطب الناس فيقول: «إنا ندعوكم أيها الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)» هذا منهجه، هذا المنهج الذي دعا إليه الإمام زيد وقدمه للأمة.

أما المشروع العملي التطبيقي فهو حتماً يتفرع عن هذا المنهج، يواصل فيقول: «وإلى جهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين وقسّم الضياء بين أهله، ورد المظالم، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب».

ثم يستنهض العلماء ويستنهض الأمة، تلك كانت الخطوط العريضة التي تحرك على ضوئها (عليه السلام) ودعا إليها الأمة: جهاد الظالمين لدفع ظلمهم، لإيقافهم عند حدّهم، لا يمكن أن يُوقَفَ ظلمهم، وأن يُدفعَ جبروتهم إلا بالجهاد ضدّهم، بالتحرك الجاد لإيقافهم عند حدّهم، والدفع عن المستضعفين حتى لا يبقوا ضحيةً لطغيان الطغاة وهيمنة المجرمين، وقسّم الضياء بين أهله - المال العام - حتى لا تحرم الأمة من ثرواتها العامة فيترتب على ذلك من المساوي.

يستنهض العلماء والأمة فيقول: «فسارعوا عباد الله إلى الحق» دعوة إلى الحق، ويفترض بالأمة المسلمة أن تستجيب لدعوة كهذه من داع كالإمام زيد، معروف بين أوساط الأمة؛ كل الأمة يشهد له: علماؤها، تياراتها، اتجاهاتها الفكرية بالفضل



والعلم، رجل عظيم موثوق ليس مغموراً ولا مجهولاً.

«فسارعوا عباد الله إلى الحق، فبالحق يُكبت عدوكم وتُمنع حريمكم وتأمين ساحتكم» يتوفر لكم الأمن والمنعة على حرما تكم، (وذلك أننا ننزع الجائرين عن الجنود) يعني: حتى لا يبقى الجيش تحت سلطة الجائرين الذين يستخدمون الجيش للسطوة على الناس، وللظلم للناس، وليجعلوا منه أداة تسلط وقهر وقمع يهيمنون من خلالها على الأمة.

«ننزع الجائرين عن الجنود والخزائن» الخزائن: الثروة العامة، لا تبقى بأيديهم؛ لأن الخزائن العامة عندما تبقى بأيدي الجائرين الظالمين يختصون بها ترفاً في مصالحهم؛ للترف في المعيشة ولتعزيز نفوذهم، ووسيلة يستقوون بها لتعزيز هيمنتهم وسيطرتهم «الخزائن والمدائن» والمدائن حتى لا يكونوا هم من يديرون شؤون الناس؛ عندما يكون من يدير شؤون الناس ظالماً مجرماً؛ فبظلمه وشره وطغيانه سيمارس ما يمارس في واقع حياتهم، «والضيء والغنائم، وثبتت الأمين المؤمن» اللائق بالمسؤولية، الإنسان الذي ليس مصدر خوف، في أن يظلم الأمة، أو يسرق الأمة، أو ينهب ثروات الأمة «وثبتت الأمين المؤمن غير الراشي والمرتشي الناقض للعهد؛ فإن نظهر فهذا عهدنا وإن نستشهد فقد نصحنا لرينا وأدينا الحق إليه من أنفسنا» نكون قد قمنا بواجبنا «فالجنة مثوانا ومنقلبنا، فأى هذا يكره المؤمن وفي أي هذا يرهب المسلم»؟.



تحرك الإمام زيد (عليه السلام) بالقرآن الكريم

عرف الإمام زيد بن علي (عليه السلام) بأنه كان حليفاً للقرآن؛ وأنه كان يسمى في مدينة جده بحليف القرآن، تشرب ثقافة القرآن الكريم واستوعبها واستنار بها وحملها إلى أمة جده حتى يقدم لها النور الذي يخرجها من الظلمات، هو ذلك الرجل الذي كان مع القرآن، مهتدياً بالقرآن، متبعاً للقرآن، عاملاً بالقرآن، مستنيراً بالقرآن، متخلقاً بأخلاق القرآن، ومثل خط الهداية، قريناً حقيقياً للقرآن الكريم.

تحرك من خلال القرآن الكريم، يواجه بالحق في هذا الكتاب الباطل والضلال، ويواجه الأفكار المنحرفة المضللة التي باتت لكثير من طوائف الأمة فكراً وعقائد ومبادئ تعتمد عليها وتسير في ظلماتها، بدأ يواجه الضلال ويتحرك لإحياء الروحية الإيمانية الجهادية والاستشعار للمسؤولية في الأمة من جديد.

الإمام زيد كان علماً لكل الأمة

يشير السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي في محاضرة له بمناسبة استشهاد الإمام زيد إلى أن الإمام زيد بن علي (عليه السلام) كان علماً لكل الأمة الإسلامية، كان علماً للمسلمين جميعاً قائداً وهادياً لكل أمة جده وليس فقط للطائفة الزيدية، دعوته كانت عامة وحركته كانت عامة، ووجه نداءه وخطابه إلى الأمة جميعاً؛ فتحرك في أوساط أمة جده، حمل هم الأمة بكُلها، وسعى لإنقاذ الأمة كل الأمة.



فالإمام زيد (عليه السلام) غضب لله وصدع بالحق يوم سكت
الساكتون وصمت العاجزون وخضع اليائسون، ويوم استسلم
الأذلون تحرك بكل شموخ وبكل ثبات، بعزة الإيمان على خطى
الأنبياء (عليهم السلام) لا تأخذه في الله لومة لائم لا يبالي
بلوم اللائمين ولا بجبروت الظالمين ولا بطغيان الطاغين
والمستبدين.

الإمام زيد تحرك بدافع المسؤولية الإيمانية

الإمام زيد (عليه السلام) بدافع المسؤولية تحرك كمؤمن، يدرك
أن انتماءه لهذا الدين، وأن تمسكه بكتاب الله عز وجل، وأن
اقتضاه لأثر نبي الإسلام محمد يفرض عليه حتماً أن يتحرك،
أن لا يسكت، أن يصدع بكلمة الحق في وجه السلطان الجائر، أن
يتحرك في أمة جدّه ليقيم الحق وليعمل على إقامة العدل، هو
يذكر ما قاله جدّه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله:
«من لا يهتم بأمر المسلمين فليس من المسلمين».

تحرك الإمام زيد لإحياء مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ثم الإمام زيد (عليه السلام) تحرك لإحياء مبدأ من أهم مبادئ
الإسلام، مبدأ حيوي في واقع حياة الأمة، هو مبدأ: الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر. هذا المبدأ المهم، العظيم في
الإسلام والحيوي الذي يترتب عليه تصحيح واقع الأمة من



الداخل، وإصلاح واقعها من الداخل، وتطهير ساحتها الداخلية من هيمنة المفسدين، والجائرين، والظالمين، والعاثين، والطغاة.

مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو أهم مسؤوليات المؤمنين ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] والله قال في محكم كتابه: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] هذا المبدأ الذي إذا غاب معناه غياب العمل لتصحيح وضعية الأمة من الداخل وبالتالي لا تقوم لها أبداً قائمة..

الإمام زيد (عليه السلام) تحرك في إطار هذا المبدأ، هذه المسؤولية المهمة جداً في واقع الأمة لتصحيح مسارها لكي يبقى للدين قيمته، ويبقى للأمة سلامة دينها وصلاح دنياها، هو يدرك ما قاله جدّه، هو نفسه من روى عن جدّه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أنه قال: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهينّ عن المنكر أو ليسلطنّ الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»، النتيجة: نتيجة التفريط والتقصير في هذه الفريضة المهمة، وهذا المبدأ الأساس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نتيجة وخيمة فضيحة سيئة، نتيجة أن يُسلط الأشرار من داخل الأمة يُسلطون عليها، ويتحكمون بها، ويعبثون بها،



بفسادهم بإجرامهم بطغيانهم، فيسوء واقع الحياة، وحينها لا ينفع مجرد الدعاء من الأخيار، اللهم.. اللهم، لا ينفع بدون القيام بهذه المسؤولية.

الإمام زيد يبيّن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الإمام زيد (عليه السلام) قال في رسالته الشهيرة، دعوته التي وجهها إلى علماء الأمة قال (عليه السلام): «واعلموا أن فريضة الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أقيمت له استقامت الفرائض بأسرها هيئها وشديدها» يعني: مبدأ له كل هذه الأهمية، هذا الفرض إذا أقيم أقيم الدين ب كله، وإذا عَطِلَ عَطِلَ معظم الدين وما يتبقى من الدين يتبقى كشكليات لا أثر لها في الواقع، ولا نفع لها في الحياة، «إذا أقيمت له استقامت الفرائض بأسرها هيئها وشديدها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الدعاء إلى دين الإسلام والإخراج من الظلمة».

«وَرَدُّ الْمَظَالِمِ وَقَسْمَةُ الْفِيءِ وَالْغَنَائِمِ عَلَى مَنَازِلِهَا» - المال العام - بدلاً من أن يُستأثر به الظالمون، أو تستأثر به فئة معينة ضمن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ يُقَسَّمُ وَيُوزَعُ الْمَالُ الْعَامُّ عَلَى مُسْتَحْقِيهِ بِكُلِّهِمْ، «وَأَخْذُ الصَّدَقَاتِ وَوَضْعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا. وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ»، إقامة الحدود: ردعاً للمفسدين والمجرمين واللصوص وما إلى ذلك، «وَصَلَاةُ



الأرحام، والوفاء بالعهد، والإحسان، واجتناب المحارم كل هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

طبعاً؛ شوّهت هذه الفريضة، قُدِّم شكل مختلف للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قُدِّمت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أنها تخص هامشاً محدوداً من العبادات والجانب الأخلاقي في جزء منه، يعني: مساحة بسيطة وهامش صغير من الأخلاق والعبادات، قالوا هنا في تلك الدائرة الضيقة الصغيرة هنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشرط أن يكون على رأس المساكين فقط، أما أن نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر في الإطار العام في المسؤولية العامة ضد الظالمين الجائرين المفسدين، أما أن يُؤمر حاكم أو رئيس أو زعيم أو مسؤول أن يُؤمر بمعروف أن يُنهي عن منكر.. لا! يريدون تعطيل ذلك، وأصبحت مسألة من مسائل التودد للظالمين وفي ظلهم، هيئة أمر بمعروف ونهي عن منكر في إطار الظالمين.

الأمر بالمعروف هكذا يُقدِّمه الإمام زيد (عليه السلام) في إطار مفهومه العام والشامل، الأمر بالمعروف بكل ما هو معروف، بكل ما الأمة بحاجة إليه أن تهتدي به، أن تتحلّى به، أن تسلكه، أن تعمل به مما فيه صلاح دينها ودنياها، دائرة واسعة تشمل كل ما فيه صلاح دينها ودنياها، وليس فقط بالحالة الشكلية التي تُركز على هامش صغير من العبادات والأخلاق تستهدف الناس العاديين فقط.



الإمام زيد يبين دور علماء السوء في ظلم الأمة

كان يدرك الإمام زيد (عليه السلام)، مشكلة الأمة الكبيرة، الأمة التي كان من المفترض أن ينهض علماءؤها بمسؤوليتهم ويكون لهم دورٌ أساسيٌّ إيجابيٌّ في تعريف الأمة بمسؤوليتها، وفي هداية الأمة لسبيل ربّها، وفي تحريك الأمة لإقامة الحق والعدل في واقعها؛ ولكن يرى أن الكثير - وليس الكل - الكثير من العلماء أصبحوا علماء سوء، لهم إسهام سلبي وسيء في تدجين الأمة للظالمين، فيقول (عليه السلام): «يا علماء السوء؛ أنتم أعظم الخلق مصيبةً وأشدّهم عقوبةً إن كنتم تعقلون» لماذا؟ لأنّ جرّمهم كبير، جرّم علماء السوء جرّم فضيع بقدر ما أسهموا وأضلّوا، أسهموا في تدجين الأمة للظالمين وأضلّوا الناس وحرّفوا مفاهيم الحق هم أعظم الخلق مصيبةً وأشدّهم عقوبةً.

«ذلك بأن الله قد احتج عليكم بما استحفظكم؛ إذ جعل الأمور ترد إليكم وتصدر عنكم، الأحكام من قبلكم تلتمس، والسنن من جهتكم تُختبر يقول المتبعون لكم: أنتم حجتنا بيننا وبين ربنا» لأن الكثير من عامة الناس عندما يكون لهم ارتباطات بعلماء معيّنين يثقون فيهم، يأمنونهم، يطمنون إليهم، يعتبرونهم حجتهم فيما بينهم وبين الله، أي فتوى أي تعبئة، تعبئة باسم الدين تؤثر فيهم.

لقد تحرك في الأمة بكل هذا المخزون العظيم من القيم والأخلاق، وتحرك مستنهضاً للأمة بعد أن وجّه رسالته الشهيرة إلى علماء الأمة ليقوموا بواجبهم، وليؤدوا دورهم في استنهاض



الأمة وفي العمل على تغيير واقعها، وقد رأى الأثر السيء جداً الذي تركه علماء السوء، علماء البلاط الذين يقفون إلى جنب سلاطين الجور يعينونهم ويُدجّنون لهم الأمة ويُجمّدون الأمة لتُدعن لهم فنادى أولئك العلماء في رسالته الشهيرة قائلاً: «يا علماء السوء؛ أنتم أعظم الخلق مصيبة وأشدّهم عقوبة إن كنتم تعقلون ذلك بأن الله قد احتج عليكم بما استحفظكم؛ إذ جعل الأمور ترد إليكم وتصدر عنكم، الأحكام من قبلكم تُلتمس والسُنن من جهتكم تُختبَر، يقول المتبعون لكم؛ أنتم حجتنا بيننا وبين ربنا. فبأي منزلة نزلتم من العباد هذه المنزلة؟ فوالذي نفس زيد بن علي بيده؛ لو بيئتم للناس ما تعلمون ودعوتموهم إلى الحق الذي تعرفون لتضعض بنيان الجبارين ولتهدم أساس الظالمين؛ ولكنكم اشتريتم بآيات الله ثمناً قليلاً وأدهنتم في دينه وفارقتم كتابه».

ثم يُوجّه نداءه إلى الأمة قائلاً: «عباد الله؛ فأعينونا على من استعبد أمتنا وأخرب أمانتنا وعطل كتابنا».



خروجه (عليه السلام)

الإمام زيد (عليه السلام) بهذه المبادئ، من هذه المنطلقات، بدافع المسؤولية تحرك وصولاً إلى خروجه ثائراً، وكان قد واعد أصحابه والمستجيبين له من المسلمين، على أن يكون موعد الثورة في الواحد من شهر صفر، ولكن نتيجة العمل الاستخباراتي الأموي اكتشفت خطة الإمام زيد (عليه السلام) أفضى بها البعض، وأدرك بنو أمية أن ظهوره قريب وأنه موجود في الكوفة وبالتالي بحثوا عنه وكانوا قريبين من اكتشاف مكانه، فاضطروا إلى تعجيل الخروج في الثاني والعشرين من المحرم، قبل الموعد المتفق عليه مع من كان قد استجاب له وواعده بالخروج معه من المسلمين، فخرج في الكوفة، خرج في الثاني والعشرين من المحرم ليلة الأربعاء، ونادى بشعاراته المعروفة: (يا منصور أمت) وهذا كان شعار جدّه رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في غزوة بدر، في صبيحة يوم الأربعاء كان قد وافاه على طول تلك الليلة ممن كان قد بايعه، وافاه فقط مائتان وثمانية عشر رجلاً، بينما في بعض الأخبار أن الذين كانوا قد بايعوا من الكوفة وحدها فقط ما يقارب الخمسة عشر ألف رجل، ووفى منهم فقط مائتان وثمانية عشر رجلاً إلى صبيحة يوم الأربعاء كانوا هم الذين قد وافوه.

ولاحظ الإمام زيد (عليه السلام) حالة التخاذل الكبيرة في واقع الأمة، وقلة المستجيبين، ومحدودية الإمكانيات، وقلة الأنصار،



وقال لأحد أنصاره الأوفياء (نصر بن خزيمة) قال له الإمام زيد (عليه السلام): «يا نصر؛ أتخاف أهل الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية» فيفعلوا معه ما فعلوا مع الحسين من تخاذل قال: (جُعِلتُ فداك أما أنا فوالله لأضربن بسيفي بين يديك حتى أموت).

وتحرك الإمام زيد (عليه السلام) بقلّة الناصر، بالفئة القليلة من المؤمنين الصادقين الذين تحركوا معه، تحرك ببطولة وفداء كبير للإسلام واستبسال قلّ نظيره، بتلك القلة القليلة واجه اثنا عشر ألف مقاتل من الجيش الأموي، وهزمهم من سكة إلى سكة، ومن شارع إلى شارع، وتقدّم ليدخل إلى داخل الكوفة وقتل في اليوم الأول من الجيش المعادي أكثر من ألفي قتيل، وتقدّم الإمام زيد (عليه السلام) وهو يقاتل بتلك الفئة المؤمنة القليلة الصادقة الصابرة الثابتة أشد قتال حتى تمكن من الوصول إلى مسجد الكوفة.

في مسجد الكوفة كان قد جُمع أهل الكوفة وحُصروا فيه وأغلقت عليهم الأبواب؛ ولكن يبديوا أن ذلك أعجبهم، هم كانوا غير راغبين في الجهاد ويبحثون عن الأعذار.

حينما وصل الإمام زيد (عليه السلام) إلى مسجد الكوفة قام نصر بن خزيمة أحد مشاهير المجاهدين معه جعل ينادي المحصورين في المسجد وهو يفتح لهم الأبواب ويقول لهم: (أخرجوا يا أهل الكوفة، أخرجوا من الذلّ إلى العزّ، أخرجوا إلى



خير الدنيا والآخرة فإنكم لستم في واحد منهما) يعني: لا أنتم في خير الدنيا ولا أنتم في خير الآخرة، أخرجوا، تحرروا، فتحت لهم الأبواب فلم يخرجوا، لقد رغبوا في أن يحبسوا أنفسهم حتى بعدما فتحت لهم الأبواب، لكن الإمام (عليه السلام) واصل مشواره الجهادي وكان حينما خفقت الراية على رأسه قال (عليه السلام) متوجهاً إلى الله العظيم: «اللهم لك خرجت، وإياك أردت، ورضوانك طلبت، ولعدوك نصبت، فانتصر لنفسك ولدينك وكتابك ولنبيك ولأهل بيت نبيك ولأوليائك من المؤمنين، اللهم هذا الجهد مني وأنت المستعان».

ثم قال (عليه السلام): «الحمد لله الذي أكمل لي ديني»، هكذا كان زيد، وهكذا هي بصيرة الحق، مبادئ الإسلام، نور القرآن «الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أني لقيت جدِّي محمداً يوم القيامة ولم أمر في أمته بمعروف ولمن أنه عن منكر، والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله وسنة نبيه أنه توجَّج لي نارٌ ثم قذفت نفسي فيها ثم صرت إلى رحمة الله».

استمرت المعركة في يوم الأربعاء ثم في يوم الخميس بكل استبسالٍ وتفانٍ مع قلَّة الناصر، وقلَّة العدة، وفي آخر نهار الخميس حسب بعض الروايات أصيب الإمام زيد (عليه السلام) بسهم بجبينه، وفور إصابته قال (عليه السلام): «الشهادة الشهادة الحمد لله الذي رزقنيها».



الإمام زيد (عليه السلام) يوصي ولده بمواصلة الثورة:

ثم إن الإمام زيد (عليه السلام) أوصى بوصية أفرغها في دماء ولده الأكبر، إذ جاءه ولده يحيى فأكب عليه، وبكى بكاءً مرّاً، ثم مسح الدم عن وجه أبيه وقال: أبشري يا ابن رسول الله، ترد على رسول الله، وعلي وفاطمة وخديجة والحسن والحسين، وهم عنك راضون، فقال الإمام: صدقت يا بني، فأبي شيء تريد أن تصنع؟ قال يحيى: أجاهدهم إلا أن لا أجد الناصر، قال: نعم يا بني، جاهدهم، فوالله إنك لعلى حق، وإنهم لعلى باطل، وإن قتلاك في الجنة، وقتلاهم في النار.

ثم إن الطبيب انتزع السهم فساعة انتزاعه استشهد صلوات الله عليه في الخامس والعشرين من شهر محرم من سنة ١٢٢ هـ. وهكذا نلمس أثر الإيمان، أثر القرآن، مبادئ الإسلام، أثرها العظيم في مثل هذا الرجل العظيم الذي يُقدّم لنا أعظم الدروس من الواقع العملي من موقع القدوة والأسوة.

بعد استشهاد الإمام زيد (عليه السلام) دُفِنَ جُثمانه الطاهر بشكل سرّي، ولكن اكتشف الأمر وعرف الأعداء مكان دفنه، واستخرج الجُثمان الطاهر ثم قطعوا رأسه الشريف ليطوفوا به في بلدان العالم الإسلامي، وتعاملوا بكل وحشية؛ الوحشية التي تُجسّد فيها سوء ما عليه المجرمون، ما عليه الظالمون والمفسدون والطغاة، كيف ممارساتهم، معاملاتهم، تصرفاتهم، وحشيتهم، إجرامهم، انعدام حتى الأخلاق الإنسانية لديهم، صلبوا الجسد



الشريف منزوعاً عنه الثياب والملابس، وبقي مصلوباً لأربع سنوات.

وخلال صلبه حصلت الآيات الكثيرة من ضمنها: أنه خلال صلبه لم ير أحد له عورة فقد استرسل جلد من بطنه من قدامه ومن خلفه حتى ستر عورته.

بعد ذلك قاموا بإحراقه بالنار، كانوا يغتاضون، كانوا يرون أثر زيد في الأمة باقياً مستمراً بالرغم من قتله، بالرغم من قطع رأسه، بالرغم من إرسال رأسه ليطاف به في الآفاق، لكن أثره كان باقياً فكان ذلك يغيظهم، أنزلوه بعد أربع سنوات من الصلب وقاموا بإحراقه، ثم بسحقه، ثم ذروا جزءاً منه في نهر الفرات، قالوا لكي لا يبقى من زيد ولا حتى ذرة من جسده، ذرّو جزءاً من جسده الشريف بعد إحراقه وسحقه ذروه في نهر الفرات، وجزء جعلوه في مهب الريح، لكي يضيع.

فصلوات الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً بين يدي الله مع آبائه وأجداده الكرام.



من وحي ثورة الإمام زيد بن علي (عليه السلام)

لماذا نحيي هذه الذكرى؟

الإمامُ زيدٌ عليه السَّلامُ كانت ثورتهُ وكان قيامهُ وكانت حرَّكتهُ امتداداً لقيام وثورة وحركة جدِّه الإمام الحسين عليه السَّلامُ، امتداداً كلياً، امتداداً في الجوهر والمضمون، في الروح والهدف، امتداداً في الموقف، امتداداً في التوجه، امتداداً في طبيعة الظروف والدوافع.

هي امتدادٌ لحركة الإسلام، حركة الإسلام في حقيقته في مبادئه في جوهره في قيمه في أخلاقه، امتدادٌ لحركة الإيمان بالاستجابة لله سبحانه وتعالى.

ونحن حينما نحيي هذه الذكرى نحийها لعدة اعتبارات: كواقعة وحادثة تاريخية مهمة لها تأثيرها الكبير، وامتد هذا التأثير في الأمة جيلاً بعد جيل، لها أهميتها في كلِّ شيء، في مضمونها، في أسبابها، في مستوياتها، في أهدافها، في تأثيرها، فيها من العبر والدروس التي نحتاج إليها اليوم، نستفيد منها كواقعة تاريخية لها صلة بالتاريخ الذي امتد تأثيره إلى الحاضر، فما حاضرها اليوم بكل ما فيه إلا امتداد لتلك الماضي.

نحийها باعتبارها ذكرى لعلم عظيم من أعلام الهدى، من رموز الإسلام، رجل عظيم حمل راية الإسلام في الأمة، ورفع صوت الحق في زمن السكوت، وتحرك في أوساط الأمة كلِّ



الأُمَّة؛ بهدف إنقاذها من الضلال والظلمات والظلم والقهر والطغيان، فهو باعتباره رمزاً من رموز الإسلام، وعلماً من أعلام الهدى، هو في موقع القدوة، وفي موقع الأسوة، نتطلع إليه، إلى جهاده، إلى سيرته، إلى مواقفه، إلى أقواله، إلى علومه، إلى كل ما قدمه للأُمَّة، وما قدمه إنما قدمه من خلال ما اهتدى به وما التزم به وما تحلّى به من مبادئ الإسلام وقيم الإسلام وأخلاق الإسلام وتعاليم الإسلام، فهو رمز إسلامي ترتبط به في الدين قدوة وعلم هدى، وهو أيضاً رمز للأُمَّة فيما قدمه للأُمَّة.

لقد جرى في العُرف الإنساني أن تحتفل الشعوب وتحتفل الأمم بذكرى أمجادها، وبذكرى عظمائها، وأن تخلد لعظمتها ذكراهم الذين أسهموا في أممهم بما قدموه لها على مستوى الإنقاذ لها الدفاع عنها، النهضة بها، الإصلاح في واقعها، جرى عُرف البشرية أن تمجد عظماءها وتخلد ذكراهم، وأن تجعل منهم فيما كانوا عليه وفيما قدموه أن تجعل منهم القدوة التي ينجذب إليها الجميع ويقتدي بها الجميع ويتأثر بها الجميع، فيكون للذكرى ويكون لذلك الارتباط الوجداني والنفسي والثقافي أثره الكبير في حياة الأمم، في نهضة الأمم، في نشاط الأمم، في تحمل الأمم للمسؤولية، وفي استعدادها لتحمل أعباء المسؤولية. الإمام زيد عليه السلام قدم للأُمَّة الكثير الكثير، من يقرأ التأريخ يعرف ذلك، من يقرأ التراث الإسلامي يعرف ذلك.

وعلى كل نحن عندما نحیی هذه الذكرى نحییها من واقع نحن في أمس الحاجة فيه إلى الاستفادة من الإمام زيد عليه



السَّلَامُ، من الاستفادة من أعلام الهدى ومن رموز الإسلام، إلى الاستفادة من حركة التاريخ بكله، في ما يزيدنا وعياً ويزيدنا بصيرة ويزيدنا همة ويزيدنا فهماً للمسئولية وفهماً لما علينا أن نقدم ويزيدنا عزمًا وصبراً وثباتاً في مواقنا.

ما الذي جعل الإمام زيد ينهض في ظروف صعبة وحساسة ويضحي تلك التضحية؟

الإمام زيدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ تحرَّك بكل ما يحمله من مبادئ وقيم وبكل تلك الأهداف العظيمة والمهمة التي أعلن عنها ونادى بها في أوساط الأمة واستشهد مظلوماً، وكانت مظلوميته أيضاً مظلومية سطرها التاريخ مؤلِّمة جداً تقدم بذاتها وبنفسها الكثير من الحقائق والدروس والعبر، استشهد الإمام زيدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أخرج بعد الاستشهاد من قبره، صُلب لسنوات عديدة، عُرِّي جسده الشريف وبقي مصلوباً، في نهاية المطاف، أنزلوا جسده الشريف من على العود الذي كان مصلوباً عليه وقاموا أيضاً بإحراقه، ثم ذروه في نهر الفرات حتى لا يبقى منه أي أثر، ولا يبقى له أي ذكر، لكن مع كل ذلك بقي الإمام زيدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ في أوساط الأمة بقي منهجاً، بقي ثورة بقي موقفاً بقي درساً كبيراً للأمة، بقي في الوجدان مشاعر حب وإعزاز، وبقي في التراث علماً ومعرفة وهداية، وبقي موقفاً يذكر وموقفاً يعتبر وموقفاً يؤثر في إحياء الأمة وتحريك الأمة واستنهاض الأمة.

الإمام زيدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ما الذي حرَّكه؟، ما الذي دفعه؟،



ما الذي جعله ينهض في ظروف صعبة وحساسة ويضحي تلك التضحية؟، من يعود إلى التأريخ ويستقري الظروف التي تحرك فيها الإمام الشهيد زيد بن علي (عليها السلام) يعرف جيداً أن تلك إنما كانت هي حركة الإسلام وحركة القرآن وحركة النهج المحمدي الأصيل؛ قام بها ونهض بها وجسدها وأحيها الإمام الشهيد زيد عليه السلام.

لقد عانت الأمة من التسلط الأموي الذي استفاد من موقعه في السلطة وكان وصوله كارثة كبيرة على الأمة في كل شيء على الأمة في دينها ودنياها؛ على الأمة في حاضرها ومستقبلها، حاضرها آنذاك ومستقبلها الممتد عبر التأريخ وعبر الأجيال.

التسلط الأموي كان يشكّل خطورة كبيرة جداً على الأمة؛ لأنه يتناقض في أهدافه، وفي سلوكه، وفي ممارساته، مع كل مبادئ هذه الأمة مع مشروعها الأساس الذي من المفترض أن تُبنى عليه في واقعها بكله، في نظام أمرها، في السلطة، في الحكم، في شأنها الاجتماعي، في شأنها السياسي، في واقعها الأخلاقي، في دورها الحضاري، في كل ما يتصل بها، إن هذه الأمة هي أمة الإسلام، هي أمة محمد، هي أمة القرآن.

ومن المفترض وما هو طبيعي في حقنا أن يُبنى واقعها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وأن يحدّد دورها حضارياً طبقاً لذلك، طبقاً للمبادئ، طبقاً للتعاليم، طبقاً للأخلاق، طبقاً للقيم التي أتى بها هذا الإسلام، التي تضمنها القرآن، التي بلغها محمد،



وأقامها محمد، وسعى لإحيائها رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وهي المبادئ العظيمة، المبادئ السامية، الأخلاق الكريمة، التي أرادها الله لعباده، والتي هي متطابقة مع الفطرة الإنسانية، **﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾**.

للإسلام مشروع سمو، مشروع أخلاق، مشروع كرامة، مشروع عدالة، ولكن لا أبقى الأمويون في الأمة كرامة، لا أبقوا لها كرامة، ولا أبقوا لها عزة، ولا أبقوا لها سمواً، وكان أداؤهم وممارساتهم الظالمة إنما هي على النقيض من مبادئ هذا الإسلام من جوهر هذا الإسلام مع استغلالهم لما بقي من شكلية لم يروا فيها أنها تؤثر عليهم وإنما رأوا فيها أنهم احتووها فصارت ضمن وسائلهم وأدواتهم التي يستغلونها في التحكم بالأمة والسيطرة على الأمة.

إن مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) في التاريخ لم تكن أبداً لشأن يخصهم، ولا لأمر لا يتجاوزهم؛ إنما كانت مظلومية الأمة بكليها، لم يكن لهم ولا لأنصارهم، ولا لمن تحرك معهم في أوساط الأمة، أي شأن خاص أو مكاسب شخصية، أو أطماع شخصية، أو نزعات لا اعتبارات محدودة، لا، التسلط الأموي استهدف الأمة بكليها منذ بدايته منذ يومه الأول، واستهدفها في المبادئ؛ لأنه كان يرى أنه لا يستطيع أن يتحكم بالأمة، أن يسيطر عليها، إلا بعد أن يهدم فيها المبادئ وأن يهدم منها القيم والأخلاق والوعي



وَأَنْ يُخْرِجَهَا مِنَ النُّورِ الَّذِي أَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ، وَقَدَمَهُ مِنْ خِلَالِ كِتَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، أَنْ يُخْرِجَهَا مِنْ ذَلِكَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ الْمُتْرَاكِمَةِ ظُلُمَاتِ التَّضْلِيلِ وَظُلُمَاتِ الْإِفْسَادِ.

الرَّسُولُ كَانَ قَدْ قَدَّمَ إِذْ بَكَرًا بِخَطْوَةِ هَذَا التَّسَلُّطِ الْأُمَوِيِّ وَبِهَذَا الدَّورِ الْهَدَامِ لِبَنِي أُمِيَّةَ.

الرَّسُولُ رَأَى فِي مَنَامِهِ يَوْمًا مَا أَنَّ بَنِي أُمِيَّةَ يَنْزُونَ عَلَى مَنْبِرِهِ الشَّرِيفِ نَزْوِ الْقَرْدَةِ، فَأَزَعَجَهُ ذَلِكَ جِدًّا، وَعَرَفَ بِمَا عَرَفَهُ اللَّهُ، بِمَا أَخْبَرَهُ اللَّهُ بِوَحْيِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَنَّهُمْ سَيَتِمَكِّنُونَ يَوْمًا مِنَ الْوُصُولِ إِلَى التَّحَكُّمِ بِمَقَالِيدِ أَمْرِ الْأُمَّةِ، وَأَنَّهُمْ سَيُصِلُونَ يَوْمًا مَا إِلَى مَوْقِعِ السُّلْطَةِ وَمَوْقِعِ الْقَرَارِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمِنْ ثَمَّ سَتَكُونُ مِمَارَسَاتِهِمْ فِي الْأُمَّةِ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُونَهُ فِي وَاقِعِ الْأُمَّةِ، سِيَاسَاتِهِمْ، تَوَجُّهَاتِهِمْ، أُسْلُوبِهِمْ فِي الْحُكْمِ تَصَرُّفَاتِهِمْ بِكُلِّهَا، كُلِّهَا خَارِجَةً وَشَاذَةً عَنِ النَّهْجِ الْإِسْلَامِيِّ وَعَنِ النَّهْجِ الْفِطْرِيِّ، عَنِ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا سَتَقُومُ عَلَى الظُّلْمِ وَالتَّسَلُّطِ وَالتَّسْتَهْتَارِ وَالتَّلَامِبَالَةِ.

الرَّسُولُ كَانَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْمَرْحَلَةِ الَّتِي يَتَحَكَّمُونَ بِهَا، سَيَكُونُ بَرْنَامَجُهُمْ فِي الْأُمَّةِ إِنَّمَا هُوَ الْبَرْنَامَجُ الشَّيْطَانِي وَالْبَرْنَامَجُ النِّفَاقِي، وَقَالَ عَنْهُمْ وَهُوَ يَصِفُ الْحَالَةَ الَّتِي إِنْ وَصَلُوا إِلَيْهَا مَاذَا سَيَعْمَلُونَ (اتَّخَذُوا دِينَ اللَّهِ دَغْلًا، وَعِبَادَهُ خَوْلًا، وَمَالَهُ دُولًا).



كلمات جامعة، كلمات معبرة، كلمات مهمة، تستحق التأمل، وتستحق التردد، وتستحق التذكُّر، كلمات من تأملها يدرك من خلالها الخطورة الرهيبة، الخطورة القصوى لذلك الدور الهدام، والهدام جداً، والهدام إلى أسوأ ما يمكن أن نتصور، دينُ الله الذي هو نور يُخرجُ الناسَ من الظلمات الذي هو بصائر الذي هو وعي، الذي هو السمو للإنسان، الذي هو السبيل لترشيد هذا الإنسان ليكون إنساناً راشداً، واعياً، فاهماً، تصوُّراته مفاهيمه، أفكاره نقية سليمة، لا تشوبها الخرافة، ولا تشوبها الأباطيل، ولا يشوبها الظلام والضلال.

دينُ الله الذي هو زكاءٌ لنفسية الإنسان، وتطهيرٌ لنفسية الإنسان، فتسمو نفسه، وتزكو وتطهر نفسيته، ويَطهر قلبه، فحمل كلِّ مشاعر الخير، وكل الإحساس الإنساني، وكل الوجدان الخيري، حتى يتأصلَ في تفكيره وفي وجدانه وفي نفسيته الخيرُ كلُّ الخير، الدينُ: دينُ الله، الذي هو بتعاليمه والذي هو بمنهجه والذي هو بنظامه يرمي إلى إحقاق الحق وإقامة العدل في الحياة، والسمو بهذا الإنسان لاستنقاذه من الضياع في هذه الحياة، لا يضيع كالحيوانات والأنعام بلا هدف سام، بلا مشروع عظيم ومقدَّس يليق بهذا الإنسان، يليق بالكرامة التي كرمه الله بها، يليق بالدور الذي أرادَه الله له.

يتخذونه دَعَلاً، كيف؟ جناية مباشرة على الدين، استهدافٌ مباشرٌ إلى الدين، كيف هو هذا الاستهداف؟ إنه من خلال التزييف والتحريف، التزييف الذي يعمدُ إلى تقديم قوالب



جديدة باسم الدين نفسه، محسوبة على الإسلام نفسه، قوالب جديدة، تصورات جديدة، مفاهيم جديدة مختلفة، هي تخدمهم، هي تمكّن لهم، هي تهيئ لهم الظروف الملائمة لفعل ما يشاؤون ويريدون، لقد صنعوا في الإسلام وداخل الإسلام إسلاماً من نوع آخر، مفاهيم كثيرة، حسبت على الإسلام، وليست من الإسلام، وهم عمدوا إلى لبس الحق بالباطل تماماً كما فعل بنو إسرائيل، وثبتوا ضمن العقائد ضمن المفاهيم الثقافية والفكرية ضمن التصورات ضمن المبادئ ضمن السلوك والأعمال والتعاليم العملية، ضمّوها الكثير والكثير مما كتب مما خطب به على المنابر، مما لقن بها الأجيال أو ذلك الجيل، داخل المدارس، داخل الكتاتيب، المساجد، في حلقات الدراسة والعلم، فاستهدفوا المضمون الديني في تعاليمه، في منهجه، في مبادئه، فحرفوا وزيفوا وغيروا، وبدلوا، حتى قولبوا شكلاً للإسلام شديد فيه الكثير من الباطل وبقي فيه القليل من الحق، واختلط به الكثير من الظلام، وتضاءلت نسبته في ذلك الظلام، حتى صارت في مراحل كثيرة من التآريخ على نحو ضعيف لا يكاد يرى إلا أنه بصيص من النور من نوافذ محدودة.

وكان لهذا تأثير كبير في مستقبل الأمة، في مواقف الأمة، ولذلك وصلوا إلى درجة التعطيل الفعلي للمشروع الإسلامي في الحياة، فعطلوه من أثره العظيم والسامي في الإنسان، فرأينا كيف صنعوا في الإنسان، رأينا الإنسان الذي تأثر بهم، الذي اقتنع لهم، الذي التفت حولهم، الذي آمن بهم ونهج نهجهم، كيف صار



إنساناً متوحشاً ظلامياً، مفسداً ومتكبراً، ومتوحشاً خالياً من كل المشاعر الإنسانية، لا رحمة لديه، جاهزاً لأن يعمل من أجلهم أي شيء وأن يتصرف أي تصرف، وبذلك استطاعوا أن يفعلوا أشياء كثيرة ما كانت لتفعل في بيئة إسلامية بقيت سليمة، لكن كانوا قد شابوا هذه البيئة الإسلامية وأبوأوها بما لديهم من ضلال وفساد ونشاط تخريبي، تخريب للقيم وتخريب للمبادئ، تخريب على المستوى الثقافي، تخريب على المستوى النفسي، في تدنيس النفوس بدلاً عن تزكيتها.

فاستطاعوا أن يحركوا الجيوش المكونة من الآلاف من المنتسبين لهذا الدين، من الذين يصلون الصلاة ويصومون الصيام، وحتى يتلوا بعضهم القرآن، وحتى ينتسبون في المشاعر الإسلامية إلى هذا الإسلام، ليفعلوا ما يمكن أن نتصور أن يفعله المتوحشون من بني الإنسان، من انسلخوا عن الفطرة الإنسانية، ما بالكم بالدين؟!، ما بالكم بالقيم؟!، ما بالكم بتعاليم السماء وبوحي الله وتعاليم الرسل والأنبياء!؟.

استقرئوا بعضاً مما حدث في التاريخ على أيديهم، كيف استهتروا بالإسلام جملةً وتفصيلاً، كيف استهانوا في هذا الإسلام بكل شيء، بالإنسان، أول الاستهانة هي بالإنسان، ثم الاستهانة بالمقدسات، الاستهانة بكل ما هو مقدس في هذا الإسلام، كانوا يستهترون حتى بالرسول ورسالته، كان قائلهم من كرسي السلطة وهو يتربّع على موقع المسؤولية كان يستهترُ برسول الله ورسالته بشكل عام، فيأتي ليقول:



تَعِبَتْ هَاشِمٌ بِالْمُلْكِ فَلَا خَبْرُ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ
يَأْتِي الْآخِرُ مِنْهُمْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَقْدُمُ نَفْسَهُ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ
وَيَقْدُمُ نَفْسَهُ قَائِدًا لِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِيَقُولَ مِمَّا يَعْتَبِرُهُ كُرْسِي
الْخِلَافَةِ وَكُرْسِي الْمَسْئُولِيَّةِ وَكُرْسِي السُّلْطَةِ:
تَلْعَبُ بِالْبَرِيَّةِ هَاشِمِيٌّ بِلَا وَحْيٍ أَتَاهُ وَلَا كِتَابٍ
هَكَذَا إِنْكَارَ بِالْكَامِلِ لِلرِّسَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

يَأْتِي الْخَطِيبُ مِنْ وُلَاتِهِمْ فِي مَكَّةَ لِيُنَادِيَ فِي أَوْسَاطِ الْحِجَاجِ
فَيَقُولُ لَهُمْ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ خَلِيفَتِكُمْ أَفْضَلُ مِنْ رُسُولِكُمْ، إِنْ خَلِيفَةُ
اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ.

لِيَقُولَ لَهُمْ بِكُلِّ وَقَاةٍ إِنْ زَعِيْمُهُ الْفَاجِرُ الْفَاسِقُ الظَّالِمُ الْبَاطِلُ
الْجَاهِلُ الْمَتَوَحِّشُ الْمُنْسَلَخُ مِنْ كُلِّ الْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ أَفْضَلُ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

تَذْهَبُ جِيُوشُهُمْ إِلَى مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ فَتَسْتَبِيحُهَا وَتَسْتَبِيحُ
قُدَّاسَتَهَا، يَسْتَهْدِفُونَ الْكَعْبَةَ الْمَشْرُفَةَ بِنَفْسِهَا، يَرْمُونَهَا
بِالْمَنْجْنِيقِ، يَحْرِقُونَهَا مَرَّةً، وَيَهْدُمُونَهَا تَارَةً أُخْرَى، وَهُمْ
يَسْتَهْدِفُونَهَا بِالْمَنْجْنِيقِ، بِلَا مَبَالَاةٍ.

الْيَوْمَ أَلَيْسَ مِنْ أَكْثَرِ وَأَكْبَرِ مَا يُمْكِنُ أَنْ نَتَخَوَّفَهُ عَلَى مَقْدَسَاتِنَا
أَنْ تَسْتَهْدِفَ الْكَعْبَةَ، أَلَيْسَ أَقْسَى مَا يُمْكِنُ أَنْ نَتَوَقَّعَهَا فِي مَقْدَسَاتِنَا،
سِوَاةٍ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ أَوْ مِنَ الْأَمْرِيكِيِّينَ أَنْ يَسْتَهْدِفُوا الْكَعْبَةَ
باعتبارها من المقدسات وفي أولى المقدسات الإسلامية، أولئك
فعلوا ذلك، لم يراعوا حرمة هذا المقدس أبداً.



يستهدفون المدينة المنورة، مدينة رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، يستهدفون حرمة الشريف ويستهدفون أبناء المدينة من المهاجرين والأنصار، لا احترام، لا للمدينة ولا لمسجد رسول الله ولا لسكانها من المهاجرين والأنصار وذريتهم، استهدفوا الجميع، قتلوا الكثير من أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، حتى أنه بعد وقعة الحرة يقول المؤرخون: لم يبق بدري بعدها، يعني أن كل الذين كانوا باقين في ذلك الزمن وامتدت بهم الحياة إلى تلك الواقعة ممن شهدوا غزوة بدر مع رسول الله محمد صلوات الله عليه وعلى آله، الواقعة الشهيرة التي كانت أهم واقعة وأول واقعة، مثلت ضربة كبيرة لأعداء الإسلام، أولئك كان يحمل بنو أمية نزع الثأر للانتقام مما حدث فيها، الانتقام للمشركين والكافرين المعتدين الذين حاربوا رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، لقد كان الأمويون يحملون نزع الثأر والانتقام من رسول الله ومن أهل بيته، ومن أنصاره، من أصحابه من المهاجرين والأنصار، كانوا يحملون هذه النزعة، نزع الحقد ونزع الثأر، وكانوا متوثبين على الدوام ليوم من الأيام ينتقمون فيه من رسول الله في أهل بيته وفي أنصاره وفي المهاجرين معه الذين نصره وجاهدوا معه.

هكذا كانوا بهذه النفسية بهذا الحقد بهذا العدا، واستباحوا المدينة، قتلوا الصحابة وقتلوا أولاد الصحابة وقتلوا ذرية الصحابة، وفي نفس الوقت انتهكوا العرض، استباحوا الأعراض، اغتصبوا النساء ونهبوا الممتلكات، ذهب الكثير من أبناء المدينة،



البعض منهم هربوا إلى قبر رسول الله يلوذون به وكانوا يتوقعون أنه سيبقى لدى الجيش الأموي ولو القليل من الاحترام لرسول الله ولحرمة رسول الله ولحرمة مسجده وقبره، فما الذي فعل جنود بني أمية، لحقوا بأوثك وقتلوهم على قبر رسول الله، قتلوا عدداً كبيراً على القبر حتى أغرقوه بالدماء، وكانوا وحشيين لدرجة عجيبة جداً، يروي التاريخ فظائع رهيبة حدثت منهم وعلى أيديهم عندما دخلوا المدينة.

لقد حكى التاريخ أن البعض منهم كان الطفل الرضيع وهو في صدر أمه تحضنه في صدرها فيأخذه برجليه من صدرها ثم يضرب به عرض الحائط فينثر دماغه إلى الأرض، انظروا أي وحشية هذه، هذا هو النموذج الذي صنعه بنو أمية محسوباً على الإسلام يحمل كل هذا التوحش يتجرّد من الأخلاق، إلى هذه الدرجة، يمسك طفلاً رضيعاً من على صدر أمه ويضرب به على عرض الحائط فيكسر رأسه وينثر دماغه في الأرض ويضرب به إلى الأرض بلا مبالاة وبكل استهتار، يتجرّد الإنسان من إنسانيته بالكامل، ما بالك بالإسلام الذي ينمي ما هو مفضوّر بالإسلام من فطرة الله تعالى.

هذه الصنعة التي صنعها بنو أمية في الأمة امتدت عبر الأجيال وعلى الدوام وفي كل مراحل الأمة، كان هذا النوع موجوداً ومحسوباً على الإسلام، بل يدعي أنه هو وحده الإسلام، أنه الذي يمثل الإسلام، ثم ينبز بقية أبناء الأمة بالكثير من الأنباذ والألقاب السيئة التي يستبيح بها دماءهم وأعراضهم وحياتهم.



التسلط الأموي بلغ إلى حدٍّ عجيب جداً، في زمن الإمام زيد عليه السلام، وقد عرفنا في مقدمة ما فعله بنو أمية، ومع كلِّ هذا ما فعلوه بعتره رسول الله بأهل بيته، الذين نادى في أوساط الأمة يقول لنا عنهم: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتهم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ثم يقول: أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاثاً.

هذا يرويه الجميع، هذا واردٌ في تراث الأمة، ليس محسوباً على فرقة بعينها، واردٌ في تراث الأمة، معترفٌ به في تراث الأمة، الرسولُ نادى في أوساط الأمة «أذكركم الله في أهل بيتي»، بل إن البخاري يروي في مجموعه وهو من أئمة الحديث، للتيار الآخر أن أبا بكر قال: (أرغبوا محمداً في أهل بيته، ارقبوا محمداً في أهل بيته).

على كلِّ ما فعلوه بعتره رسول الله بالإمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة سبط رسول الله، امتداده في حمل النور والهدى والحق، في أوساط الأمة، حمل الإسلام بمشروعه كاملاً في أوساط الأمة (حسينٌ مني وأنا من حسين) وما فعلوه بأسرته الكريمة، بأهل بيته، بأنصاره الخُص الذين كانوا إلى جانبه قلة قليلة وفية وعزيزة ومؤمنة وصابرة.

ثم الفضاءات الكثيرة التي سجلها التاريخُ وأصبحت محتوى للكثير والكثير من مجلدات الكتب لا يمكن أن نتحدث بها في



كلمة أو في محاضرة أو مناسبة، مجلدات من الكتب كلها صفحات سوداء سطرها أولئك، إجراماً، بغياً، تضليلاً، فساداً بكل أشكاله، إلى زمن الإمام زيد عليه السلام، بعد صولات وجولات في الأمة، كانت السلطة الأموية قد استحكمت قبضتها من جديد بعد أن تعرضت لاهتزازات كبيرة بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام واستشهاده، لكن من جديد كانت قد استحكمت قبضتهم على الأمة ووصلوا إلى الذروة في تمكّنهم وتغلبهم.

وفي زمن هشام الوالي الأموي يأتي ليقول: والله لا يقول لي أحد اتق الله إلا ضربت عنقه.

انظروا من هو النموذج الأموي، له هذه الرؤية لديه هذا التفكير، ما الذي ينبئ به هذا التفكير، هذه النفسية.

الله يأمر عباده بكلهم بتقواه حتى أنبياءه في القرآن يقول ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ يوجه خطابه إلى المؤمنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾.

وأكثر ما ورد الأمر في القرآن الكريم بالتقوى والتوجيه بالتقوى للمؤمنين أصلاً، للمسلمين أصلاً، هذا لديه التوجه الطغياني ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ يأتي ليقول (لا يقول لي أحد اتق الله إلا ضربت عنقه) يعني من يأمرني بتقوى الله سأقطع رأسه، أقتله، هكذا كانوا.



وماذا يكون في بقية تصرفاته؟!، إنسان من هذا النوع كيف سيكون منهجه في الحكم، تفكيره نظرته للأمة من حوله إلا ما قال عنه الرسول «اتخذوا دين الله دغلا، وعباده خوفا» لا يرى فيهم إلا العبيد.

هشام طغي وتجبّر وزاد طغيانه، الإمام زيدٌ عليه السّلامُ تجاه هذا الواقع بكله تحرّك حفيدُ الحسين عليه السّلامُ امتداداً لثورة جده، لمنهجه، لمبدئه، للدافع الإيماني ذاته، تحرّكٌ عليه السّلامُ وكانت حركته إنما تعبر عن مبادئ الإسلام، لم تكن نظرة شخصية أو موقفاً شخصياً لا اعتبارات شخصية نهائياً، إنما كانت ترجمة عملية لتوجيهات الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، ولذلك كان يقول: «والله ما يدعني كتابُ الله أن أسكت» «كيف أسكت وقد خوف كتابُ الله».

ما يدعني كتابُ الله أن أسكت، توجيهاتُ الله في القرآن، إنها توجيهات كلها تقوم على أساس استنهاض الأمة وتحريك الأمة في موقع العمل وفي ميدان المسؤولية.

الإمام زيدٌ عليه السّلامُ باتت حركته وثورته منهجاً ومشروعاً كبيراً امتدت في أوساط الأمة

الإمام زيدٌ عليه السّلامُ باتت حركته وثورته منهجاً ومشروعاً كبيراً امتدت في أوساط الأمة، ليس مقامه فقط في مقام محاضرة، أو في حديث في كلمة، ولكن يمكن أن نأخذ جانباً واحداً من جانب حركته عليه السّلامُ.



**الإمامُ زيدٌ عليهِ السَّلامُ مما حرص عليه وسعى له،
إحياء مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبدأ إسلاميٍّ مهم وفريضة إسلامية عظيمة ومهمة، من أعظم فرائض الله سبحانه وتعالى، كما قال عنها الإمام علي عليه السلام (بها تقام الفرائض).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية أساسية من صميم مسؤوليات الأمة، ومسؤولية إيمانية ودينية فرضها الله على عباده.

والله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم ﴿وَأَتَّكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

والله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم في آية مهمة يتضح لنا مقدار أهمية هذه الفريضة كمسؤولية مهمة في دين الله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.



وأنت هذه الآية في موقع مُهمٍّ في سورة التوبة في سياق المقارنة والفرز داخل المجتمع الإسلامي بين خط الإيمان وخط النفاق؛ فتحدث عن المؤمنين والمؤمنات باعتباره من مسؤولياتهم الإيمانية، التي هي بحكم إيمانهم، التي هي ترجمة لإيمانهم، ترجمة عملية لإيمانهم، التي هي محك للمصادقية في الانتماء الإيماني **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾** يتجهون في حمل المسؤولية مع بعضهم؛ أمة واحدة متعاونة متكاتفة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقىمون الصلاة، إن تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الآية قبل الحديث عن الصلاة، وفي أولويات ما وصفوا به، له أهمية كبيرة ومدلول مهم جداً.

يأتي ليقول قبل أن يتحدث عن صلاتهم عن إقامة الصلاة **﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾** بعدها **﴿وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾** بعدها وصفاً عاماً **﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾** هذا يدل ويبين ويوضح ويكشف عن مدى الأهمية القصوى لهذه الفريضة؛ لأنه هنا أتى بها قبل الصلاة، وقبل الزكاة؛ لأنه بدون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يبقى للصلاة تأثير في واقع الأمة، لا يبقى للزكاة تأثير إيجابي في واقع الأمة، كل الفرائض الإسلامية من الصلاة إلى غيرها لا يبقى لها إلا التأثير المحدود والبسيط والمتواضع، هي مع المسؤولية هذه لها تأثير فعال، وعظيم ومهم جداً، لكن



تفريغ الإسلام وتفريغ الانتماء والهوية الإيمانية بمسؤولية كهذه يضرب بقية الفرائض.

نجد أنه في الإطار الآخر حينما يتحدث عن المنافقين كيف يصفهم، قبل هذه الآية بآيات.

تحدث عن المنافقين فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾** شكلية واحدة، طريقة واحدة، اتجاه واحد، سلوك متشابه، **﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾** هكذا يوصفهم **﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾** هذه الآية أيضاً تضمنت فرزاً مهماً، توصيفاً دقيقاً لحركة النفاق في الأمة، المنافقون والمنافقات ليس وجودهم في داخل الأمة وقوفاً جامداً وراكداً، وليسوا حالة تعيش نفاقها في واقعها الداخلي فلا تتحرك به في أوساط الأمة، لا، المنافقون والمنافقات هم حركة في واقع الأمة، في أوساط الأمة، ليسوا منكفين بنفاقهم على واقعهم الداخلي، لا، ليسوا حركة انزوائية وتاركة للأمة بسبيل حالها، حركة في أوساط الأمة، وأي حركة، أمراً بالمنكر، والمنكر عنوان واسع، المنكر فكرة، المنكر سلوك، المنكر عمل، المنكر موقف، المواقف التي يدعون الأمة إليها ويدفعون بالأمة إليها هي مواقف منكرة، هي غلط، هي في الاتجاه الخاطئ، الأعمال



والتصرفات التي يحركون الأمة فيها ويجرون الأمة إليها هي شاذة عن النهج الإسلامي، عن القيم والأخلاق، وهكذا الأفكار التي يحاولون أن ينشروها في أوساط الأمة هي أفكار ظلامية عفنة، ترجمتها العملية في واقع الحياة شر على الناس وسوء في واقع الحياة.

فهم لا يجمدون يأمرّون بالمنكر، لا يكتفون بأن يكونوا هم في تفكيرهم المنكر، ونظرتهم المنكرة، وواقعهم المنكر، وسلوكهم المنكر، إنما يأمرّون بهذا المنكر في أوساط الناس، فيتحرّكون حركة استقطابية في واقع الأمة بغية أن يعمموا هذا المنكر في أوساط الأمة.

فتراهم في كل مراحل التأريخ كلما برز موقف منكر كانوا هم دُعائه ورجاله وحملته، والمستقطبون له، والضلال، والظلام، كل أشكال المنكر لهم نشاط فيها، وينهون عن المعروف، يتحرّكون في الساحة حركة مضادة للمعروف، الموقف المعروف، الموقف الصحيح، الموقف الذي ينسجم مع الإسلام في تعاليمه في مبادئه في قيمه في أخلاقه، ينهون عنه، يصدون عنه.

يحاربونه يبعدون الأمة عنه، السلوك المعروف، العمل المعروف، الفكر السليم، التثقيف الصحيح، المبادئ الصحيحة، كل ما هو معروف من مستوى الفكر إلى واقع العمل، هم يتحرّكون ضداً له، إما بموقف صارم وكامل، فيستهدفونه بشكل نهائي وإما حركة احتوائية وتزييفية.



هكذا هم، يعني: هم حركةٌ تخريبيةٌ في داخل الأمة؛ لأنهم ينتمون إلى الإسلام، ويحاولون أن يكونوا هم المعبرون عن الإسلام وغيرهم الغلط وهم الصّح، ثم إنهم يتحرّكون على هذا النحو التخريبي والهدام في واقع الأمة، فلذلك أثرهم سيءٌ جداً في واقع الأمة؛ لأنه يطال حياة الناس وواقع الناس، يمَسُّ بكرامتهم، يمَسُّ بحياتهم، يمَسُّ بأمنهم، يمَسُّ باستقرارهم، يمَسُّ باستقلالهم، يمَسُّ بطبيعة الوجود العادي في الحياة، شر على الأمة، في مقابل حركتهم هذه في الحياة تحدث الآفة عن مستوى عذابهم وسخط الله عليهم بشكل عجيب جداً، جاء الوعيد الإلهي ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾ مع أنهم منتمون إلى الإسلام، مع أنهم يصلون، مع أن البعض منهم لهم مساجدُ الضرار، والبعض منهم قد لا يصلي، هم فئات متنوعة، لكن منهم من يلبس لباس الدين، من لديه مساجدُ الضرار، منهم أيضاً من يتحرّك تحت عناوين إيمانية ﴿مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ﴾ يعني كحركة وليس فقط كاتناء، كحركة يتحرّك تحت هذا العنوان الإيماني، ولذلك قال (من يقول) لم يقل من قال، من يقول، يكرر ذلك يعني: يتحرّك تحته كعنوان، حركة تخريبية في واقع الأمة، من ننتظر؟، من؟، ليتصدى لهذه الحركة التخريبية في واقع الأمة، نجد بعد أن نقرأ وعيد الله لهم بالرغم من انتمائهم للإسلام ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ﴾ لاحظوا في هذه الآية، بدأ بهم قبل الكفار، في الوعيد



الإلهي وذكرهم أولاً، والكفار بعدهم ثانياً ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا، هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ هي كفايتهم، جهنميون ليس لهم إلا جهنم، بلغوا مبلغاً فظيلاً من السوء والتخريب والدور السلبي في واقع الناس، ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ نعوذ بالله من سخط الله، هذا يعبر عن سخط كبير جداً عليهم من الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، إذا الدور الذي يواجه هذا الدور التخريبي في الأمة من الداخل هو الدور الإيماني ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، الموقف المعروف في كل زمن، رجاله، دعائه، أنصاره، حملته هم المؤمنون، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ من يقفون ضد المنكر، ضد المنكر موقفاً، ضد المنكر سلوكاً، ضد المنكر والباطل، حكماً وتسلطاً ضد المنكر بكل أشكاله، المنكر الذي هو هدام في واقع الحياة، سلبي في واقع الحياة، سوء في واقع الحياة، الذي يتصدى له من موقع المسؤولية وبالقيم والأخلاق والمبادئ والفهم والوعي والبصيرة هم المؤمنون والمؤمنات ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

الإمام زيد عليه السلام عمل على إحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في واقع الأمة

الإمام زيد عليه السلام عمل على إحياء الحركة الإيمانية هذه



في واقع الأمة، واتجه الاتجاه الصحيح؛ لأن البعض قد يقول: صحيح جيد. نأمرُ بمعروف وننهي عن منكر، ولكن على البسطاء والمساكين، البعض سيتحرك لإقامة المعروف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن إذا كانت المسألة في حدود التعاطي مع الناس العاديين البسطاء، لا، في حركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اتجه رأساً وبادئ ذي بدء وبشكل أساسي ومركز عليه تجاه القضايا الكبيرة، المسائل المهمة، المسائل الكبرى التي تنطوي على كل التفاصيل وتتفرع عنها كل التفاصيل، الإمام زيد عليه السلام كان يعي ذلك جيداً كان يعي ما معنى قول النبي صلوات الله عليه وعلى آله: «أفضلُ الجهاد كلمة حق في وجه سلطان جائر».

تحرك الإمام زيد (عليه السلام) حركةً شاملة حركة عامة، مواجهاً لأصل المنكر لمنبع المنكر، السلطة القائمة التي هي منكرٌ بذاتها، منكرٌ بسياساتها، منكرٌ بتوجهاتها، منكرٌ بما تفرضه في واقع الأمة، منبعٌ للمنكر ومصدرٌ للمنكر، ينتشر من خلالها المنكر في واقع الأمة وبقوة وبسلطة، فاتجه هذا الاتجاه نحو القضية المركزية القضية المهمة القضية الرئيسية، وواجه أصل المنكر، فتحرك عليه السلام وهو يعي أهمية هذه المسؤولية.

نأتي إلى خطورة التفريط في هذه المسؤولية، الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» على لسان نبيين



من أنبياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نبي الله داوود ونبي الله عيسى (عليهما السلام)، على لسان داوود وعيسى بن مريم، حالة سخط كبير، حالة استياء كبير، حالة مقت شديد، لدرجة أن كلاً منهما لعن بني إسرائيل، على ماذا؟، هذا السخط الذي وصل إلى هذه الدرجة، هذا أشد ما يمكن أن يدعو به نبيُّ على قومه أن يلعنهم، أشد ما يمكن أن يدعو به ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

الحالة التي سادت في أوساط بني إسرائيل هي كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، عطلت هذه الفريضة بشكل كامل، حينما يُعطل هذا المبدأ وتُهجر هذه الفريضة في واقع الأمة، تكون هناك سلبيات كبيرة ينمو المنكر، يفرض حضوره في الساحة فيسيطر على الساحة تماماً، إذا غُيب من الساحة صوتُ الحق، إذا عطلت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والموقف من الظالمين والفاستين والطغاة والمجرمين خلت لهم الساحة، حينها تستحكم قبضتهم، تقوى سلطتهم، تكبر هيمنتهم، فيملؤون الساحة بدون تردد بدون رادع بدون حاجز بدون مانع بالمنكرات والمفاسد والمظالم والطغيان، حينها يتجرؤون على فعل أي شيء مهما كان فظيلاً، مهما كان إجرامياً مهما كان وحشياً مهما كان طغياناً، لا يتحرجون من شيء.

حينها يصل واقعُ الناس إلى واقعٍ خطيرٍ للغاية، وتكون الحالة القائمة في أوساطهم حالة لا يرضاها الله لهم ولكنهم



كانوا سبباً في أن تصل إلى ما وصلت إليه، فيخسرون القداسة، قداسة هويتهم وانتمائهم ويغيب الحق من واقعهم، الحق في مضمونه، الحق في أثره في الواقع، الحق في تأثيره الإيجابي ونفعه في الحياة، ولهذا ورد عن النبي صلوات الله عليه وعلى آله أنه قال: «لَا قُدُسَتْ أُمَّةٌ لَا تَأْمُرُ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَنْهَى عَنِ مَنكَرٍ وَلَا تَأْخُذُ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَلَا تُعَيِّنُ الْمُحْسِنَ وَلَا تَرُدُّ الْمَسِيءَ عَنِ إِسَاءَتِهِ»، أمة كهذه أمة فقدت قداستها، يعني أمة سيئة، لن يبقى للحق ولا للخير ولا للقيم النبيلة ولا للفطرة الإنسانية حضور في واقع حياتها؛ تصبح الحالة حالة سيئة جداً، وأسوأ واقع، وأسوأ حال يصل إليه الناس هو الحال الذي تغيب عنه القيم والمبادئ والأخلاق.

في نص آخر عن الرسول صلوات الله عليه وعلى آله يبين خطورة التنصل عن هذه الفريضة وعن غيابها من الساحة يقول: «لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لِيَسْلُطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شَرَارَكُمْ ثُمَّ يَدْعُو خِيَارَكُمْ فَلَا يَسْتَجَابُ لَهُمْ» إذا تنصلت الأمة عن مسؤوليتها في الأمر بالمعروف وفي النهي عن المنكر تصبح الساحة كما قلنا خالية للأشرار ولكن حتى بالتسليط، وحالة التسليط هي حالة خطيرة جداً؛ لأنها حالة زائدة على واقع الأمة في وهنها وضعفها واستسلامها وخوعها، هي حالة يتحرك أولئك الأشرار فيها بنزعة الشر، بطبيعة الشر، بنفسية الشر، بتوجه الشر، بممارسات الشر، ولكن أيضاً مسلطون لديهم جُراً أكبر؛ لأنها نزعَت عن الأمة كل أشكال الرعاية التي تقطع



عن الأُمَّة ولو بعضاً من شرهم؛ لأن الله أصبح ساخطاً على الأُمَّة حينما تتنصّل عن مسؤوليتها، فالله سُبْحَانَهُ لا يوليها أيّ رعاية حينئذ ولا يقطع عنها ولو قليلاً من شر أولئك، ولذلك نجد أهمية هذه الفريضة.

اليومَ واقعُ الأُمَّة على ما هو عليه الامتداد النفاقي في حركة الأُمَّة قائم

اليومَ واقعُ الأُمَّة على ما هو عليه، الامتداد النفاقي في حركة الأُمَّة قائم، وله حضور كبير بشكل دول، بشكل أنظمة متسلطة، يمتلك جيوشاً، يمتلك ثروات هائلة، يسيطر على مواقع السلطة وعلى مواقع الثروة في مناطق كثيرة من الأُمَّة، وهناك امتداد إيماني دائم أيضاً في واقع الأُمَّة، هذه الأُمَّة لا ينفد منها الخيرُ بشكل كامل، يبقى للخير حضوره ويبقى للحق وجوده ويبقى للحق والعدل والخير والهدى أنصاره وحَمَلَتُهُ وصوته، وتختلف الأحوال من ظرف إلى ظرف ومن مرحلة إلى مرحلة في مستوى قوة وتأثير هذا الحضور أو معاناة هذا الحضور، في مستوى تفاعل الأُمَّة.

وعلى كلُّ يتجلى في عصرنا هذا أيضاً بشكل كبير سوء الأثر التخريبي لحركة النفاق في الأُمَّة، أولئك الذين يأمرُون بالمنكر ويمارسون المنكر، وطبعوا واقعنا الإسلامي في معظم ميادينه وساحته بالمنكر وبأشكال مختلفة، شكّل منه ألبس لباس الدين هو الشكل التكفيري، ولكن بكل بشاعة، وبممارسات فظيعة جداً



جداً ومشوّهة للإسلام إلى أسوأ حال، إلى أسوأ مستوى، إلى ما لا يمكن تصوُّر أفضَح منه، وأسوأ منه، وأقبح منه، وشكل آخر تفرُّغ تام بغير اسم الدين تفرُّغ تام، إما تحت عناوين سياسية، أو عناوين مناطقية، أو بدون عنوان أحياناً.

تحت طائلة تأثير الجانب المادي، الفلوس، وهكذا تحرَّكوا في أوساط الأمة وهم يتحرَّكون اليوم، وتجلّى للأمة سوء ما يعملون وفظاعة ما يتصرفون به ويتحرَّكون به في واقعهم، ما نعاني منه اليوم في أمتنا الإسلامية في شتى مناطقها من النشاط التكفيري الذي يراعه النظام السعودي وتحت المظلة الأمريكية والتوجيه الأمريكي وهندسة السياسة الأمريكية، وبما يخدم إسرائيل ويفيد إسرائيل ويحمي إسرائيل، نرى اليوم سوء الدور في واقع الأمة، وما ألحقه بالأمة من خسائر كثيرة، القتل في كثير من الأقطار وأصبح حالة يومية وباستهتار كبير بالأرواح، وبالحياء، والتدمير، إثارة الفوضى، الواقع السيء والمرتدي في واقع الأمة الذي يعيق الأمة ويعطلها عن بناء واقعها وتصحيح وضعيتها وإصلاح حالها، يعني واقع هو من جانب تدميري وشر ومؤثر وضار بالأمة فيما يُسُها بشكل مباشر، قتل وإهدار للأموال والممتلكات وتضييع للحقوق وفي نفس الوقت ضياع للأمة في مشروعها الذي يفترض أن تكون منطلقة فيه، وسوء ما بعده سوء، لكن في الجانب الآخر هناك في واقع هذه الأمة نرى للحق صوته، نرى الكثير والكثير، في كثير من أقطار العالم



الإسلامي، يتحركون وينطلقون ونسمع منهم صوت الحق ونرى في مواقفهم قوة الحق وصلابة الحق في مواجهة ذلك الطغيان وذلك المنكر وذلك الفساد وذلك الظلم.

إنما يقوم به اليوم النظام السعودي بشكل مباشر وعبر أدواته في العالم الإسلامي في مناطق متعددة من العالم الإسلامي ما هو إلا امتداد في مضمونه وممارساته وشكله وأصله وفصله وفرعه للحركة النفاقية في عصر الإسلام كله، في تاريخ الأمة الإسلامية بأكملها، ولكنه اليوم بإمكانات أكثر وبقدرات أكثر وبثروة أكثر، يمتلك اليوم القنوات الفضائية، يمتلك اليوم الأسلحة الحديثة، ولكن شكله المنكر واضح جداً، على مستوى العالم الإسلامي كله، ولا يزال الخطر محدقاً بالكثير من البقاع الإسلامية التي لا زال فيها بعض من الهدوء أو قدر من السكينة والاطمئنان، لا زالت دول المغرب العربي ولا زالت مصر ولا زالت العديد من البلدان التي تشهد بعضاً من الاستقرار؛ لا زالت معرضة للخطر بالقدر الذي تعرضت له اليمن وتعرضت له سوريا وتعرض له العراق وتعرضت له بلدان أخرى، ولكن في المقدمة هذه البلدان؛ لأن النشاط الذي يمارسه النظام السعودي وهو نشاط نفاقي بكل ما تعنيه الكلمة، يبدأ أولاً بشكل النشاط الدعوي والخيري، كتب، ومدارس، وتمر، وفلوس، وما شاكل ذلك وبأسلوب لطيف ووُدِّي حتى يتمكن من اختراق البلدان، بعد أن يتمكن من اختراق أي بلد ينحو منحى آخر، يحول نشاطه الذي ألبسه لباساً دعوياً إلى نشاط يعبئ



الجماهير التي استقطبها بذلك الفكر الظلامي وبالعقد والأحقاد والعداوة التي لا نظير لها في العالم أبداً، ويفرغ ذلك الإنسان من مضمونه ومحتواه الإنساني الذي فطره الله عليه فيحوّله إلى إنسان متوحش.

كان في البداية إنساناً وديعاً: يطلق لحيته، يدهن وجهه، يتكلم بالكلام اللطيف، يحمل المسواك في كثير من الحالات، ثم لا تنتبه إلا وقد وضع المسواك وأخذ بدلاً عنه الرشاش، ولبس بدلاً عن الثوب الأبيض، يلبس الحزام الناسف واتجه وهو كله حقد وكرهية كراهية لمن؟ هل لأعداء الأمة للأمريكي للإسرائيلي لمن يشكلون خطراً حقيقياً على شعوب المنطقة بكليها؟! لا، هل لدفع الخطر الإسرائيلي وإنقاذ الشعب الفلسطيني؟ لا، يتجه سواقاً أو مدرسة أو مسجداً، وهو يحمل كل ذلك الحقد فيفرغه مع الكثير مما حمله في حزامه الناسف يضرب بها المصلين أو يضرب بها المتسوقين أو يضرب بها طلاب المدرسة أي شكل هذا؟، أو يذهب ليفتح جبهة داخلية في قطر من الأقطار الإسلامية والأقطار العربية ليثير الفتنة الداخلية بين أهل منطقة كانوا فيما قبل أهل منطقة واحدة متأخين مسالمين لبعضهم البعض ولو طرأت إشكالات تكون في مستواها مشاكل محدودة، يُفصل فيها، أو يبقى لها مستواها وحجمها العادي، لكن تتحول المسألة بفعل هذا النشاط التخريبي إلى مسألة معقدة ويأتي التكفيري يعتبر الآخرين كفاراً، ويعتبر أنه لا بد من قتلهم وإبادتهم بأي شكل كان، بأي أسلوب كان، إما بالحزام الناسف، إما بالقنبلة أو



بالبطائرة، كما يفعل النظام السعودي نفسه، أو بأي سلاح كان، إماماً بالسكين الذي يذبح الرقبة، وإماماً بالقنبلة والتفجير الذي يمزق الناس إلى أشلاء.

هكذا ظهروا متوحشين وسيئين ويشكلون خطراً على الأمن، يشكلون خطراً على السلم الأهلي في كل بلد، ويطلبون أنفسهم بالطابع الديني، يُرسخون الولاء السياسي في أي بلد للنظام السعودي نفسه، فيكون المصري الذي هو في مصر ولاؤه للنظام السعودي وعقيدته تكفيرية، وتوجهه ضد أهل بلده وأهل منطقتة توجهاً عدائياً إلى حد عجيب، مثله في الجزائر، مثله في تونس، مثله في أي بلد إسلامي آخر، حينما تعطي أمريكا ضوءاً أخضر للنظام السعودي، أن أثيروا الفتن في البلد الفلاني، بسرعة إصدار الفتوى، بعد إصدار الفتوى التحرك في الميدان، فإذا ذلك البلد يلتهب بالفتن والأخطار والمشاكل، يتمزق نسيجه الاجتماعي، يحترق أهله فيقتتل ليل نهار، تدمر فيه المدن والقرى، يهلك فيه الحرث والنسل، هذه هي الحركة النفاقية نرى أسوأ أشكالها وأفظع آثارها ونتائجها في النظام السعودي وما يراه في الواقع.

ويأتي عدوانه على اليمن تحت المظلة الأمريكية والإشراف الأمريكي والرغبة الإسرائيلية والتشجيع الإسرائيلي والمساهمة والمشاركة الإسرائيلية، يأتي عدوانه على بلدنا في هذا السياق نفسه، تخريباً وعدواناً، وبطشاً، وظلماً وطغياناً، وعدواناً بغير أي



حق، وبدون أي مبرر، يرتكب أفظع الجرائم، ثم يحاول التنصّل عنها، الإنكار لها، وهي جريمة واضحة مشهودة بشكل واضح لا لبس فيه أبداً.

ثم استمرت جرائمهم بحق أبناء هذا الشعب مستهترين بحياة الناس مستبيحين للجميع، يقتلون الجميع في كل مكان، قتلونا كشعب يمّني في الأسواق، في المساجد، واستهدفوا حتى المقابر، البعض من المقابر قديمة لها زمن طويل، يلقون عليها القنابل، استهدفوا كل شيء، يستبيحون حياة الناس، منكر، يأمرون بالمنكر ويفعلون المنكر، ويتصرفون المنكر، ويفعلون كل ذلك، جرائمهم واضحة وبيّنة ومشهودة، وعدوانهم مستمر، ولكن ما يمكن أن يُفيد شعبنا، كما قلناه مراراً وتكراراً، هو التحمّل للمسؤولية، هو التحرُّك الجاد، هو العمل، هو الموقف، هو رفد الجبهات ودعمها بالرجال الأبطال، هو الصمود والثبات والتوكل على الله. [خطاب

السيد عبد الملك في ذكرى استشهاد الإمام زيد ١٤٣٨هـ]



دروس وعبر

ثورة الإمام زيد هي مدرسة كبرى مليئة بالدروس والعبر.

عندما نستذكر هذه الذكريات المريرة والمؤلمة والمحنة والمؤسفة والموجعة في تاريخنا لا نستذكرها فقط لنتسربل الأحزان ولنعيش المأساة ولنعيش الحزن من جديد فقط، إنما نعود إليها باعتبارها مدرسة كبرى نأخذ منها الدروس والعبر التي نحن في أمس الحاجة إليها في عصرنا هذا في مواجهة كل التحديات والأخطار التي تعيشها أمتنا.

لقد كانت ثورة الإمام الشهيد زيد بن علي (عليه السلام) امتداداً لثورة جدّه الحسين (عليه السلام) وامتداداً لحمل المشروع الرسالي الإلهي الذي بلغه خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، وهكذا واصل الإمام زيد (عليه السلام) ذلك المشروع بروحه ومبادئه ومواقفه وأخلاقه وحمل لواءه في الأمة منادياً ليبقى للحق صوته وليبقى للحق امتداده وليبقى للعدل حملته وليبقى للنور الإلهي من يعملون على نشره في الأمة وليبقى طريق ونهج الإصلاح لواقع الأمة والتصحيح لمسارها قائماً وممتداً عبر الأجيال، لا يوقفه زمن ولا تقف بوجهه تحديات أو أخطار؛ لأن له حملة عظماء حملوا روحيته، حملوا مبادئه، حملوه نوراً في أرواحهم، وحملوه إيماناً راسخاً في قلوبهم، وحملوا لواءه ورايته بكل ما هناك من تحديات وأخطار ونكبات كبيرة ومصائب مؤلمة



وجارحة، بثباته بصلابته بوجهه وقوته كانوا يتحركون من عصر إلى عصر من جيل إلى جيل من زمن إلى زمن في مواجهة ألف يزيد وألف هشام من مدرستهم تلك.

نحن بأمس الحاجة إلى أن نعود إلى مدرسة الإمام زيد

ونحن في هذا العصر الذي عمّ فيه الطغيان على أمتنا وشملها بلاء الطغاة وظلمهم وإجرامهم وفسادهم، العصر الذي تعيش فيه أمتنا أكبر التحديات وأكبر الأخطار والأمم الأخرى تتكالب عليها مستهدفة لها في دينها ومبادئها ومستهدفة لها في أرضها وعرضها وعزها وشرفها وكل مقوماتها ومقومات وجودها؛ نعود إلى تلك المدرسة إلى مدرسة زيد تلميذ جدّه الحسين إلى مدرسة عاشوراء إلى المدرسة المحمدية الكبرى التي أنجبت أولئك العظماء الذين حملوا راية الحق والعدل وضحوا بأنفسهم وبالغالي والنفيس من أجل إنقاذ الأمة من أجل إصلاح واقعها من أجل استنقاذها من هيمنة الطغاة والمجرمين والمستبدين...

نعود إلى تلك المدرسة لنكسب من مجدها وعزها لتتعلم كتلامذة في تلك المدرسة الكبرى لدى أولئك الأساتذة العظماء الأجلاء نتعلم منهم العزّ والثبات واليقين والبصيرة والوعي والإخلاص، نتعلم منهم الثبات في مواجهة التحديات، نتعلم منهم التضحية من أجل المبادئ العظيمة والسامية، نتعلم منهم كيف نستمر في حمل راية الحق والعدل، لا نبالي لا بطغيان طغاة ولا بجبروت ظالمين ومستبدين، نتعلم منهم كيف نثبت على



المبادئ حتى لو ارتد وتراجع عنها الكثير من الناس، كيف نحمل في قلوبنا ومشاعرنا عزة الإسلام وكرامة الإسلام والمبادئ الإلهية العظيمة التي بها شرف أمتنا وتمثل الأصالة الحقيقية للانتماء الصادق إلى الإسلام العظيم وإلى قرآنه ونبيّه.

نعود إلى الإمام زيد (عليه السلام) من عصرنا من واقعنا من ظروفنا ونحن نعيش كل التحديات ونرى كل المساوئ كل الظلم كل الطغيان، ونحن نعيش أبشع عدوان عرفه التاريخ يستهدف ديننا، وعزتنا، وكرامتنا، وحرّيتنا، ووجودنا.

١. التحرك الجاد ضد الطغاة والمستكبرين وكسر حالة الجمود والإذعان

نعود إلى الإمام زيد (عليه السلام) الذي تحرك رغم سكوت الآخرين شق حالة الصمت وحالة الجمود وحالة الإذعان والاستسلام وتحرك في وسط جمهور الأمة ليستنهض الأمة من جديد مذكراً لها بكتاب الله سبحانه وتعالى وبالمبادئ العظيمة؛ يتحرك لتغيير ذلك الواقع الذي ملأه الظالمون بظلمهم والمفسدون بفسادهم وأفسدوا فيه واقع الأمة على كل المسارات وفي كل الاتجاهات وفي كل المجالات.

الإمام زيد (عليه السلام) في ذلك الواقع المُتردّي وهو يُقيّم واقع الأمة في ظل حكومة جائرة ظالمة مستبدة تقيم أمرها على الطغيان ولا تقيمه لا على أساس من العدل ولا على أساس من الحق ولا على أساس من الخير وليس لديها مشروع لبناء الأمة



ولا لإصلاح واقع الأمة ولا لإقامة الدين ولا لصالح الدنيا.

الإمام زيد (عليه السلام) في ذلك الواقع المُتردّي الذي لم يبقَ فيه لدى تلك الحكومة الجائرة الظالمة، الدولة الأموية المستبدة التي لم يبقَ لديها أي قيم ولا أخلاق ولا انتماء حقيقي للإسلام حتى الإسلام حتى رموزه حتى مقدّساته لم يبقَ لديها أي قيمة لدى تلك الحكومة الجائرة.

٢. الرحمة للأمة والتضحية من أجل عزتها وحرّيتها وكرامتها

تحرك الإمام زيد (عليه السلام) في ذلك الواقع المُتردّي السيء الذي عم فيه الظلم للأمة بأكملها، والذي تعاني فيه الأمة من انحطاط في قيمها وأخلاقها ومبادئها، وخطورة كبيرة جداً على انتمائها السليم والأصيل للإسلام؛ تحرك يحمل مشروع الإسلام الذي هو قائم على أساس إقامة العدل والحق في الحياة، تحرك يحمل لواء العدل منادياً في الأمة غير آبه بخذلان المتخاذلين ولا بصمت الصامتين ولا بخنوع الخانعين والجامدين، تحرك من واقع المسؤولية وهو يحمل في قلبه الرحمة للأمة، الحرص على استنقاذها مما هي فيه، الحرص على إصلاح واقعها.

وليس هناك أبلغ تعبيراً عن حبه لأمة جده من قوله: (والله! لوددت أن يدي ملصقة بالثريا فأقع إلى الأرض أو حيث أقع فأتقطع قطعة قطعة وأن الله أصلح بي أمر أمة محمد).

هذا الحرص وهذه الرحمة بالناس التي منشؤها أثر الإيمان



العظيم أثر الانتماء الأصيل للإسلام بأخلاقه ومبادئه حملها الإمام زيد (عليه السلام).

٣. استشعار المسؤولية والتحرك الجاد والفاعل

لقد تحرك الإمام زيد (عليه السلام) مع قلة الناصر وقلة العدد والعدة كما تحرك جدّه الحسين (عليه السلام) مقتبساً أثره سالكاً في دربه في ظل راية الإسلام ونور الإسلام، تحرك (عليه السلام) وهو ذلك الذي كان يحمل كل الأثم وكل التوجّع على أمة جدّه حينما يرى ظلم الظالمين وجور الجائرين ويستشعر مسؤوليته العالية، مسؤوليته الكبيرة تجاه ذلك فيقول: «والله! ما يدعني كتاب الله أن أسكت، والله ما يدعني كتاب الله أن تكف يدي».

يتحرك من واقع الشعور بالمسؤولية لا ملتمساً لشيء من حطام الدنيا ولا هادفاً إلى سلطة ولا إلى مغنم مادي، تحرك وهو يحمل عزة الإيمان ويدرك أنه في ظل واقع كذلك الواقع والذي هو شبيهه بواقع أمتنا اليوم لا يجوز الجمود ولا السكوت ولا الصمت ولا الإذعان ولا الاستسلام؛ لأنه لا يؤدي إلا إلى المزيد من استحكام الظلم وسيطرة الطغاة وتحكمهم بالواقع يهدمون أخلاق الأمة ويضيعون مبادئها ويعمونها بالفساد والشر والطغيان.

٤. كيف نخلع ثوب الذل والخوف

تحرك (عليه السلام) وهو يعرف أن الثمن هو التضحية، وأنه لا بد من التضحية في ظل واقع كذلك، تحرك وهو يقول: «ما كره قوم قط حرّ السيف إلا ذلوا» إلا ذلوا.



تحرك وهو يدرك أنه من الواجب على الأمة أن تخلع عنها ثوب الذلّة، وأن تتحرك دون أن تأبه لجبروت الظالمين وطغيانهم لقد كان يدرك بأن من أهم الركائز التي يتحرك من خلالها ويتمكن من خلالها الطغاة والظالمون في استحكام أمرهم على الأمة وفي السيطرة على الأمة واستعباد الأمة هي: الجبروت والبطش والطغيان الترويع والإخافة واستعمال البطش بقسوة كبيرة وفضاعة ووحشية لا نظير لها، يقتلون ويسجنون ويُدْمَرُونَ ويُخربون ويستبيحون الدماء فيسفكونها بغير حق ويزهقون الأرواح بغير حق، ويحاولون بذلك أن يعمموا حالة الخوف والفرع والجزع في نفوس الناس حتى لا يرفع أحد له رأس ولا ينطق بكلمة حق ولا ينادي بحق ولا يعارض باطلاً، هكذا كانوا يعملون.

وهذه الحالة تركت أثرها على الكثير من أبناء الأمة فكانوا مُكبَّلين بقيود الخوف لا يجرؤون على اتخاذ موقف ولا يجرؤون على تحمل مسؤولياتهم في مواجهة الظلم والطغيان والفساد، والقليل القليل من صفوة الأمة كانوا متحررين من قيود الخوف فوقفوا بصدق وثبات وتضحية وفدائية لا نظير لها مع الإمام زيد (عليه السلام)، وقبله مع الإمام الحسين (عليه السلام)، وبعدهما مع كل الأحرار والعظماء الذين ثاروا وتحركوا في الأمة لإصلاح واقعها وتصحيح مسارها.

الإمام زيد (عليه السلام) كان يُدرك خطورة الخوف وأثره السيء في تجميد الأمة وفي تكبيلها وفي فرض حالة الإذلال عليها



فقال هذه الكلمة: «ما كره قومٌ قط حراً السيوف إلا ذُلُّوا».

نتيجة الخوف نتيجة الإذعان لحالة الفرع والجزع من بطش الظالمين وجبروتهم هي: الذلة؛ تُفرض على الأمة حالة الذل والهوان والاستسلام والعجز وإذا ذُلَّت الأمة كان لديها القابلية أن تُدعن لكل ما يعمله الطغاة فلا تقف في وجههم ولا ضد طغيانهم لو عملوا ما عملوا، ولو فعلوا ما فعلوا هي الحالة الطبيعية لحالة الذل.

ولذلك يقول (عليه السلام): «من استأثر حب البقاء استدثر الذلُّ إلى الفناء»، من يصبح كل تعلقه بهذه الحياة والبقاء فيها فهو متشبَّث بالحياة، وخوفه من أن يُقتل نتيجة بطش الظالمين ويفارق هذه الحياة الفانية والزائلة نتيجة جبروتهم؛ يفرض عليه هذا الواقع هذه الحالة: حالة الذل، فهو يتلبس بالذل ويتدثر به ويقع رهينته وأسيره لا يقف موقفاً مُشرفاً ولا موقف عزةً إلى أن يفنى.

٥- البصيرة والوعي

الإمام زيد (عليه السلام) نادى في الأمة: «البصيرة البصيرة» هكذا كان ينادي الأمة عباد الله: «البصيرة البصيرة»؛ لأن أول ما تحتاج إليه الأمة هو الوعي، والوعي والبصيرة فلا تُضلل ولا تُخدع ولا يُؤثر فيها كل مساعي المُضللين والمجرمين بكل وسائلهم وكل إمكانياتهم للتضليل والخداع.



٦. عظمة أن ترى نفسك مجاهداً في سبيل الله

الإمام زيد (عليه السلام) حين وقف في ساحة الجهاد وقد خفقت فوق رأسه الرايات قال (عليه السلام): «الحمد لله الذي أكمل لي ديني، لقد كنت استحيي من جدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم» أن أرد عليه يوم القيامة ولم أمر في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر».

هذه النظرة القرآنية، هذه النظرة الصحيحة والسليمة إلى حقيقة الدين: أن الدين بدون الوقوف في وجه الظلم يبقى ناقصاً، الإيمان يبقى ناقصاً غير مكتمل؛ لأن إقامة العدل هدفٌ أساسيٌّ لرسالات الله بأكملها، كل رسالات الله كان من أهم أهدافها إنقاذ البشر وتخليصهم من استعباد الطواغيت وإنقاذهم من سطوة الظالمين وطغيان الطغاة وفساد المضسدين.

ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] فكانت إقامة القسط إقامة العدل في واقع الحياة هدفاً أساسياً لرسالات الله سبحانه وتعالى، وإذا لم يبق هذا الهدف هدفاً للأمة ومسعى عملياً لها فإن دينها ناقص ولن يتم لها أبداً، يُفرض عليها الباطل وتُضرب في أخلاقها وفي مبادئها وفي قيمها وتهون وتذل.



٧. العزة والحرية والإباء

الإمام زيد (عليه السلام) سطر لكل الأجيال المتعاقبة بقوله والفعل، بتضحيته والعطاء، بدمه وبروحه وبموقفه سطر للأمة درساً عظيماً ومهماً في المجد وفي الإباء وفي العزة وفي الحرية، درساً تحتاجه الأمة لتستفيد منه روحاً وعزماً وبصيرة في مواجهة التحديات والأخطار في مواجهة قوى الشر والإجرام والطغيان إلى يوم القيامة.

لقد كانت ثورة الإمام زيد (عليه السلام) ثورة في وجه الطغيان، الطغيان الذي شمل الأمة الإسلامية، وعانت منه الأمة الإسلامية، الطغيان الأموي الظلم الأموي الذي استحكمت قبضته آنذاك ليستبد وينهب ثروات الأمة ويعمل على إذلالها وقهرها ويستعبدها ويخضعها ويمارس بحقها كل أصناف الظلم. الإمام زيد (عليه السلام) كانت ثورته امتداداً فعلياً في المبدأ والموقف لثورة جده الإمام الحسين (عليه السلام)، وكانت ثورته أيضاً تعتبر امتداداً حقيقياً لمنهج الإسلام العظيم، في درب جده المصطفى محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

وكانت ثورته (عليه السلام) تعبيراً حركياً وعملياً عن حقيقة مبدأ الإسلام العظيم عن حقيقة الإسلام كمشروع عدالة، مشروع كرامة، مشروع حرية لبني الإنسان وكانت استجابة فعلية لتوجيهات الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.



٨ التضحية لتبقى القيم والمبادئ والأخلاق

إن الإمام زيداً (عليه السلام) عندما تحرك في وجه الطفيلان الأموي المستحكم الظالم للأمة، المفسد المضل إنما كان يتحرك طبقاً لتوجيهات الله، طبقاً لتعاليم الإسلام ومن خلال تلك المبادئ العظيمة والمهمة التي تجعل للإسلام قيمته في هذه الحياة إذ ليس مجرد طقوس مفرغة لا أثر لها في الحياة ولا قيمة لها في الواقع.

إن الإسلام كما هو دين فيه عبادات روحية فإنه يتضمن المبادئ العظيمة التي تحقق للإنسان حريته، وتحقق للإنسان كرامته، وتكفل للإنسان سعادته هذه هي حقيقة الإسلام، والذين يظلمون ويحسبون ظلمهم على الإسلام ويرتكبون أبشع الجرائم ويفسدون في الأرض ويحسبون كل ما عملوه على الإسلام هم يسيئون إلى الإسلام وهم يقدمون أكبر الإساءة ويشوهون عظمة الإسلام وقيمته النبيلة.

كما أن من يتصورون أن الإسلام مجرد عبادات محدودة روحية ليس فيه أي شيء يمت بصلة إلى كرامة الإنسان وحرية الإنسان وسعادة الإنسان وصلاح الحياة هم أيضاً يحملون نظرة مغلوطة إلى الإسلام وينظرون إليه كشيء لا جدوى منه لا قيمة له لا أثر له لا في الإنسان ولا في الحياة.

أما الحقيقة التي عبر عنها الإسلام في قرآنه، وعبر عنها الأنبياء على مدى التاريخ بكله، وعبر عنها السائرون في درب



الأنبياء من المقتدين بهم والناهجين نهجهم والمهتدين بهم؛ فإن من أساس رسالات الله سبحانه وتعالى هو إقامة العدل في الحياة، إصلاح هذه الحياة، إصلاح الإنسان بنفسه في تزكية نفسه، في أن يحمل القيم والأخلاق العظيمة في إصلاح ممارساته في تقديم المشروع الصحيح الذي يحقق من خلاله العدل والارتقاء في واقع الحياة وفي دوره في هذه الحياة كإنسان.

٩- الارتباط الوثيق بالله والخشية منه والثقة به والحب له وتقواه؛

نتعلم من الإمام زيد سلام الله عليه كيف نكون عظيمي الثقة بالله والخشية منه، حيث عُرف سلام الله عليه بأنه كان عظيم الخشية من الله، فكان حينما يقرأ بعضاً من آيات القرآن الكريم ويتأملها يُغمر عليه، وعرف أيضاً بهذا الأثر الإيماني في واقعه بكله في علاقته المتميزة بالله، في أخلاقه وقيمه، في المسؤولية ومواجهة الجائرين، فعلى مستوى الالتزام والتقوى هو القائل (عليه السلام): «والله ما كذبت كذبة منذ عرفت يماني من شمالي، وما انتهكتُ لله محرماً منذ عرفت أن الله يعاقب عليه» فكان سلام الله عليه على هذا المستوى العالي من الالتزام والتقوى، هو أيضاً القائل: «والله لو علمتُ أن رضى الله عز وجل في أن أقدح ناراً بيدي حتى إذا اضطرمت رميتُ بنفسي فيها لفعلتُ»، يعني لو كان ذلك مني يرضي الله لفعلت، هكذا كان في انشداؤه إلى الله، في تقواه في ذوبانه في طاعة الله سبحانه وتعالى.



أما مواقفه التي تدلُّ على ثقته العالية بالله، فعندما نرى موقفاً واحداً من مواقفه كم يحمل من دلالات واضحة ومتعددة على ثقته بالله وإجلاله له وارتباطه به سبحانه وتعالى واحتقاره للطغاة والمتجبرين المنحرفين عن منهج الله سبحانه وتعالى، فله تلك الوقفة في مواجهة هشام بن عبد الملك الحاكم الأموي الجائر الظالم المفسد الذي بلغ به الحال أن يقول: والله لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه. لكن الإمام زيد سلام الله عليه لم يخف ولم يرهب ولم يتهرب من تقديم مثل هذا الأمر فقال لهشام: «أتق الله يا هشام»، وعندما أبدا هشام انزعاجه وغضبه وقال مستكبراً: أو مثلك يأمر مثلي بتقوى الله؟ فرد عليه الإمام زيد (عليه السلام) قائلاً: «إنه ما من أحد فوق أن يُؤمر بتقوى الله ولا أحد دون أن يوصي بتقوى الله».

١٠- الثبات وعدم التراجع

لقد تحرك الإمام زيد (عليه السلام) بثبات، وحين رأى تخاذل أهل الكوفة من جديد كما تخاذلوا مع جدّه الحسين (عليه السلام) قال لأحد القادة الأبطال المجاهدين معه نصر بن خزيمة قال له الإمام زيد (عليه السلام): «أتخاف أهل الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية؟»، ففعلوا معه ما فعلوا مع جدّه الحسين (عليه السلام)؛ ولكن ذلك لم يُثنه ولم يردّه ولم يجعله يتراجع إلى الوراء قيد أنملة؛ بل ثبت على موقفه وثبت على مبدئه وهو الذي قال: «والله! لو لم يخرج إلا أنا وابني يحيى لخرجت»، لما تراجع



حتى لو لم يكن معه إلا ابنه يحيى ابن زيد (عليه السلام).

وخاض ملحمة الكبرى ومعركته الشهيرة في مواجهة المجرمين والطغاة بكل وحشيتهم بكل جبروتهم بكل طغيانهم، وحين أصيب بالسهم الغادر القاتل في جبهته الشريفة قال (عليه السلام): «الشهادة الشهادة الحمد لله الذي رزقنيها» في تلك اللحظات التي عاش فيها الشهادة وفراق هذه الحياة كان يعيش الشعور الذي عاشه قبله جدُّه الإمام علي (عليه السلام) حينما قال: «فزت ورب الكعبة» مطمئناً على الطريق الذي هو فيه وإلى مآله وإلى مساره وإلى نتيجته وعاقبته.

وهكذا هو الطغيان والظلم والجور، وهكذا كان للظلم والطغيان امتداده في واقع أمتنا من تاريخها الغابر إلى حاضرها المعاصر، في المقابل كان أيضاً هناك امتداد، امتدادٌ لصوت الحق، امتدادٌ للقائمين بالعدل عبر التاريخ وسيبقى هذا الامتداد إلى قيام الساعة.



وختاماً

ماذا يعني التوَلَّى للإمام زيد؟

التوَلَّى للإمام زيد سلام الله عليه ليس انتماءً مذهبياً ولا كلاماً يتكلم به الإنسان وانتهى الأمر. لا، التوَلَّى سير في الطريق، التوَلَّى تحرك في الصراط المستقيم، التوَلَّى التزام بالرسالة الإلهية في مضامينها في مبادئها في قيمها، في أخلاقها، هذا هو التوَلَّى الحقيقي.

ولذلك نحن في منطلقنا في هذه المسيرة ننتقل على هذا الأساس بالروحانية التي كان يحملها الإمام زيد (عليه السلام) مقتبسين من ذلك النور وسائرين في تلك الطريق، طريق الجهاد والاستشهاد، هذه المسيرة التي كانت ولا زالت وستظل تقدم قوافل الشهداء من شبابها الأعمام ورجالها الأبطال في ميادين الجهاد تنطلق من هذه المبادئ الراسخة من مدرسة الإمام زيد بن علي من مدرسة الإسلام من مدرسة القرآن من روحية الأنبياء تقتبس وتأخذ، وبنورهم تستضيئ وتستبصر، ومن عزميتهم تأخذ وتنطلق وتندفع على ذلك الأساس؛ لأن هذا هو الطريق الصحيح؛ لأن هذا هو الصراط المستقيم؛ طريق العزة، طريق الكرامة.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين



مما ورد في رثاء الإمام زيد بن علي (سلام الله عليه)

من أبلغ ما ورد في رثاء الإمام زيد بن علي (سلام الله عليه) قول

أمير شعراء اليمن الحسن بن جابر الهبل (رضوان الله عليه):

عُجَّ بِالْكُنَاسَةِ^(١) بَاكِيًا لِمَصَارِعِ

غُرٍّ تَذُوبُ لَهَا النُّفُوسُ تَحَسَّرُ

مَهْمَا نَسِيَتْ فَلَسْتُ أَنْسَى مَضْرَعًا

لَأَبِي الْحُسَيْنِ الدَّهْرَ حَتَّى أَقْبَرَا

مَا زِلْتُ أَسْأَلُ كُلَّ غَادٍ رَائِحِ

عَنْ قَبْرِهِ لَمْ أَلْقَ عَنْهُ مَخْبِرَا

بِأَبِي وَبِي بَلْ بِالْخِلَاطِقِ كُلِّهَا

مَنْ لَا لَهُ قَبْرٌ يُزَارُ وَلَا يُرَى

مَنْ لَوْ يُوَازَنُ فَضْلُهُ يَوْمًا بِفَضْ

لِ الْخَلْقِ كَانَ أَتَمَّ مِنْهُ وَأَوْفَرَا

مَنْ قَامَ لِلرَّحْمَنِ يَنْصُرُ دِينَهُ

وَيَحُوطُهُ مَنْ أَنْ يُضَامَ^(٢) وَيُقْهَرَا

مَنْ نَابَذَ الطَّاعِيِ اللَّعِينِ وَقَادَهَا

لِقِتَالِهِ شُعْبَتِ النُّوَاصِي ضُمَّرَا

مَنْ بَاعَ مِنْ رَبِّ الْبَرِيَةِ نَفْسَهُ

يَا نِعَمَ بَانِعُهَا وَنِعَمَ مَنْ اشْتَرَى

(١) الْكُنَاسَةُ: (كُنَاسَةٌ كُوفَانٌ): وهي موضع بالكوفة التي تقع ناحية الجنوب من كربلاء

في العراق، قتل بها الإمام زيد بن علي (عليه السلام).

(٢) الضَّمُّ: الظلم أو الإذلال ونحوهما.

مَنْ قَامَ شَاهِرَ سَيْفِهِ فِي عُصْبَةِ
 زَيْدِيَّةٍ يَقْضُو^(١) السَّبِيلَ الْأَنْوَارِ
 مَنْ لَا يَسَامِي كُلَّ فَضْلٍ فَضْلُهُ
 مَنْ لَا يُدَانِي قَدْرُهُ أَنْ يُقْدَرَا
 مَنْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ طَيْبٌ ثَنَانُهُ
 عَنْ جَدِّهِ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ مُكَرَّرَا^(٢)
 مَنْ قَالَ فِيهِ كَقَوْلِهِ فِي جَدِّهِ
 أَعْنِي عَلِيًّا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى
 مَنْ أَنْ مَحْضَ الْحَقِّ مَعَهُ لَمْ يَكُنْ
 مَتَقَدِّمًا عَنْهُ وَلَا مَتَأَخَّرَا^(٣)
 هُوَ صَفْوَةُ اللَّهِ الَّذِي نَعَشَ الْهُدَى
 وَحَبِيبُهُ بِالنَّصِّ مِنْ خَيْرِ الْوَرَى
 وَمُزَلَّزِلُ السَّبْعِ الطَّبَاقِ إِذَا دَهَى^(٤)
 وَمُزْعَزِعُ الشَّمَمِ الشَّوَامِخِ إِنْ قَرَا^(٥)

(١) يقضو: يَتَّبِعُ الْأَثْرَ.

(٢) جاء في الحديث المرفوع: خيرُ الأولين والآخرين المقتولُ في الله، المصلوبُ في أمّتي، المظلومُ من أهل بيتي سمي هذا، ثم ضمَّ زيدُ بنَ حارثةٍ إليه، ثم قال: يا زيدُ لقد زادك اسمك عندي حبًّا، سمي الحبيب من أهل بيتي.

(٣) مما روي في ذلك ما رواه المرشد بالله (عليه السلام) وغيره عن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: يُقْتَلُ مِنْ وَلَدِي رَجُلٌ يُدْعَى زَيْدًا بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِالْكَنَاسَةِ، يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ، يَتَّبِعُهُ عَلَيْهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ.

(٤) دهى يَدَّهْوُ دَهَاءً: وَرَجُلٌ دَاهِيَةٌ: بَصِيرٌ بِالْأُمُورِ.

(٥) وقد أُطْلِقَ عَلَى الْإِمَامِ زَيْدِ (عَلَيْهِ السَّلَامِ) اسْمُ حَلِيفِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُ خَلَا بِهِ مَتَدَبِّرًا أَيَاتِهِ مَدَّةَ ١٢ عَامًا.



كُلُّ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَى مِيدَانِهِ
وَهُوَ الْمُجَلِّيُّ ^(١) فِي الْكِرَامِ بِلَا مِرَا
بِاللَّهِ أَحْلَفُ أَنَّهُ لِأَجَلٍ مَنْ
بَعْدَ الْوَصِيِّ سِوَى شَبِيرٍ وَشَبْرَا
قَدْ فَاقَ سَادَةَ بَيْتِهِ بِمَكَارِمِ
غُرَاءَ جَلَّتْ أَنْ تُعَدَّ وَتُحْصَرَ ^(٢)
بِسِمَاحَةِ نَبْوِيَّةٍ قَدْ أُخْجِلَتْ
بِنَوَالِهَا حَتَّى الْغَمَامِ الْمَمْطَرَا
وَشَجَاعَةِ عَلْوِيَّةٍ قَدْ أُخْرِسَتْ
لَيْثَ الشَّرَى فِي غَابِهِ أَنْ يَزَارَا
مَا زَالَ مُنْذُ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ
لَمْ يَدْرُ كَذْبًا فِي الْمَقَالِ وَلَا افْتِرَا
لَمَّا تَكَامَلَ فِيهِ كُلُّ فَضِيلَةٍ
وَسَرَى بِأَفْقِ الْمَجْدِ بَدْرًا نَيْرَا
وَرَأَى الضَّلَالَ وَقد طَغَى طَوْفَانُهُ ^(٣)
وَالْحَقُّ قَدْ وُلَّى هُنَالِكَ مُدْبِرَا

(١) يقال للسابق الأول من الخيل المُجَلِّي.

(٢) راجع أقوال (أبي حنيفة النعمان) و(الإمام الباقر) و(خالد بن صفوان المنقري) وغيرهم في الإمام زيد (عليه السلام) في الحدائق الوردية وغيرها.

(٣) كانت الدولة الأموية في عهد هشام بن عبد الملك تتجاوز حدود الله، وتظلم الناس، وتنتشر الضلال.



سَلَّ السِّيَوفَ الْبَيْضَ مِنْ عِزْمَاتِهِ^(١)
 لِيُؤَيِّدَ الدِّينَ الْحَنِيفَ وَيَنْصُرَا^(٢)
 وَسِرَى عَلَى نُجْبِ الشَّهَادَةِ قَاصِدَا
 دَارَ الْبَقَا يَا قَرِيبَ مَا حَمَدَ السُّرَى
 وَغَدَا وَقَدْ عَقَدَ اللَّوَا مُسْتَغْضِرَا
 تَحْتَ اللَّوَا وَمُهَلَّلَا وَمُكَبِّرَا
 لِلَّهِ يَحْمَدُ حِينَ أَكْمَلَ دِينَهُ
 وَأَنَالَهُ الْفَضْلَ الْجَزِيلَ الْأَوْفِرَا^(٣)
 يُؤَلِّيَ الْيَّةَ^(٤) صَادِقٍ لَوْلَمْ يَكُنْ
 لِي غَيْرُ يَحْيَى ابْنِي نَصِيرَا فِي الْوَرَى^(٥)
 لَمْ أَثْنِ عِزْمِي أَوْ يَعُودُ بِي الْهَدَى
 لَا أَمَّتَ فِيهِ^(٦) أَوْ أَمُوتَ فَأَعْدِرَا
 مَا سَرَّنِي أَنِّي لَقَيْتُ مُحَمَّدَا
 لَمْ أَحْيَ مَعْرُوفَا وَأَنْكَرُ مَنْكَرَا

(١) انطلقت ثورته (عليه السلام) ضد الظلم عام ١٢٢ هـ .

(٢) قال الإمام زيد (ع) في إحدى خطبه: عباد الله لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة ثم القتال. انظر: الحداثق الوردية ١ / ٢٤٩ .

(٣) قال في الإفادة ص ٤٧: لما خفقت الرايات فوق رأسه قال: (الحمد لله الذي أكمل ديني، لقد كنت استحيي من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أن أرد عليه ولم أمر في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر).

(٤) يولي: يحلف، والألية: القسم.

(٥) تفرَّق أهل الكوفة عنه بعد أن اشتمل ديوانه (عليه السلام) على بيعة ١٥ ألفاً منهم.

(٦) لا أمت فيه: لا عوج.



فأتوا إليه بالصواهل شُرْبًا
 (٧) وبيعَ مَلات العيسَ تَنفُخُ في البُرى
 وبكلِّ أبيضٍ باترٍ وبكلِّ أزٍّ
 (٨) رقٍ نافذٍ وبكلِّ لَدْنٍ أسْمِرا
 فغدَت وراحتٍ فيهمُ حملاتُهُ
 وسقاَهُم كَأْسَ المنيَّةِ أحْمِرا
 حتَّى لقد جَبُنَ المشجَّعُ مِنْهُمُ
 وأنصاعَ لِيثُهُمُ الهِصُورُ مُقَهِّقِرا
 فهناكَ فَوْقَ^(٩) كافرٍ مِنْ بَيْنِهِمُ
 سَهْمًا فَشَقَّ بِهِ الجَبِينِ الأزهرا
 تركوه مُنْعَضِرِ الجَبِينِ وإنما
 تركوا به الدِّينَ الحَنِيفَ مُعَضِّرا^(١٠)
 عَجَبًا لَهُمُ وَهُمْ الثَّعالِبُ ذَلَّةً
 كيفَ اغتدى جَزْرًا لَهُمُ أسدُ الشَّرى؟
 صلبوه ظَلَمًا بالعِراءِ مَجْرَدًا
 عن بُرْدِهِ وَحَمَوهُ مِنْ أن يُسْتِرا

(٧) الصواهل: الخيل، والشُرْبُ: صفة لها وهي الضامرة المعدَّة للحرب والقتال. واليعملات: هما الجمال والناقة المطبوعان على العمل، والبُرى: جمع برة كل حلقة من سوار في أنف الناقة، والبرى أيضًا: التراب.

(٨) الأبيض: السيف. والأزرق: النصل، وهو حديدة السهم والرُمح والسيف ما لم يكن له مَقْبِضٌ. واللَّدْنُ: الرمح.

(٩) فَوْقَ السَّهْمِ: حَرَكُهُ.

(١٠) كان استشهاد الإمام صلوات الله عليه ليلة الجمعة لخمس بقين من المحرم سنة

حتى إذا تركوه عُزَيَانَا عَلَى
جَذَعِ عَتَوَا مِنْهُمْ وَتَجْبُرَا
نَسَجَتْ عَلَيْهِ الْعَنْكَبُوتُ خِيوطَهَا
ضَنَا^(١) بِعَوْرَتِهِ الْمَصُونَةِ أَنْ تُرَى
وَلَجِدَّهُ نَسَجَتْ قَدِيمًا إِنَّهَا
لَيْدٌ يَحِقُّ لِمِثْلِهَا أَنْ تُشْكَرَا
وَنَعَتُهُ أَطْيَارُ السَّمَاءِ بِوَاقِيَا
لَمَّا رَأَتْ أَمْرًا فَظِيْعًا مُنْكَرَا^(٢)
أَكْذَا حَبِيبُ اللَّهِ يَا أَهْلَ الشَّقَا
وَحَبِيبُ خَيْرِ الرُّسُلِ يُنْبِذُ بِالْعَرَا؟
يَا قُرْبَ مَا اقْتَصَيْتُمْ مِنْ جَدِّهِ
وَذَكَرْتُمْ بَدْرًا عَلَيْهِ وَخَيْبِرَا
أَمَا عَلَيْكَ أبا الْحَسَنِ فَلَمْ يَزَلْ
حُزْنِي جَدِيدَ الثُّوبِ حَتَّى أُقْبِرَا
لَمْ يَبْقَ لِي بَعْدَ التَّجْلُدِ وَالْأَسَى
إِلَّا فَنَائِي حَسْرَةً وَتَفْكَرَا
يَا عَظْمَ مَا نَالَتْهُ مِنْكَ مَعَاشِرُ
سُخْقًا لَهُمْ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ مَعْشِرَا

(١) ضَنَا: بُخْلًا، وَالضَّيْنِ: الشَّدِيدِ الْبِغْلِ.

(٢) رَاجِعٌ عَنِ نَعِيِّ الْأَطْيَارِ (حَمِيدِ الشَّهِيدِ الْمُحَلِيِّ) فِي الْحَدَائِقِ الْوَرْدِيَّةِ، وَالْمُرْشِدِ بِاللَّهِ فِي الْأَمَالِيِّ الْاِثْنِيْنَئِيَّةِ.



قَادُوا إِلَيْكَ الْمُضْمَرَاتِ كَأَنَّمَا
يَغْزُونَ كَسْرِي . وَيَلْهُمُ . أَوْ قَيْصِرَا
يَا لَوْ دَرَّتْ مَنْ ذَا لَهُ قَيْدَتْ لَمَّا
عَقَدَتْ سَنَابُكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرَا^(١)
حَتَّى إِذَا جَرُّعَتَهُمْ كَأَسِّ الرَّدْيِ
قَتَلَا وَأَفْنَيْتَ الْعَدِيدَ الْأَكْثَرَا^(٢)
بَعَثَ (الرَّمَاةُ) إِلَيْكَ سَهْمًا نَافِذَا
مَنْ رَاشَهُ شُلَّتْ يَدَاهُ وَمَنْ بَرَى^(٣)
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ الضِّدَاءَ وَإِنَّهُ
لَمْ يَجْرِ فَيْكَ مِنَ الْأَعَادِي مَا جَرَى
بَاعُوا بِقَتْلِكَ دِينَهُمْ تَبًّا لَهُمْ
يَا صَفْقَةَ فِي دِينِهِمْ مَا أَخْسَرَا
نَصَبُوكَ مَصْلُوبًا عَلَى الْجَذَعِ الَّذِي
لَوْ كَانَ يَدْرِي مَنْ عَلَيْهِ تَكَسَّرَا
وَأَسْتَنْزَلُوكَ وَأَضْرَمُوا نِيرَانَهُمْ
كَيْ يُحْرِقُوا الْجِسْمَ الْمَصُونِ الْأَطْهَرَا^(٤)

(١) العَثِيرُ: بكسر فسكون ففتح : التُّرَابُ.

(٢) كان الإمام زيد (عليه السلام) قد حقق انتصارات كبيرة على الجيوش الأموية، من تلك الانتصارات هزيمته للريان بن سلمة البلوي صاحب خيل يوسف بن عمر بعثه في نحو من ألفي فارس وثلاثمائة رجالة لمقاتلة الإمام زيد إلى دار الرزق، فمني بالهزيمة. راجع الحدائق الوردية ١/ ٢٥٨، والأمالئ الاثينية، والمقاتل.

(٣) راش السهم: ألزق عليه الريش، وبرى السهم: نحته.

(٤) ولي الخلافة الوليد بن يزيد بعد موت عمه هشام بن عبد الملك، وهو الذي أمر بتحريق الإمام زيد بعد أن مكث مصلوبًا بالكناسة أكثر من سنتين.



فَرَمَوْكَ فِي النَّيْرَانِ بَغْضًا مِنْهُمْ
لِمُحَمَّدٍ وَكَرَاهَةً أَنْ تُقْبَرَ
وَلِكَادَ يُخْفِيكَ الدُّجَى لَوْلَمْ يَصِرْ
بِجَبِينِكَ الْمَيِّمُونَ صُبْحًا مُسْفِرًا
وَوَشَى بِتُرْبَتِكَ الَّتِي شَرُفَتْ شَذَى
لَوْلَاهُ مَا عَلِمَ الْعَدُوُّ وَلَا دَرَى
طَيْبُ سَرَى لَكَ زَائِرًا مِنْ طَيْبَةِ
وَمِنَ الْغَرِيِّ يُخَالُ مَسَكًا أَذْفَرًا^(١)
وَذَرُوا رِمَادَكَ فِي الْفِرَاتِ ضَلَالَةً
أَتَّرَى دَرَى ذَارِي رِمَادِكَ مَا ذَرَا^(٢)؟
هِيَ هَاتِ بَلْ جَهَلُوا لَطِيبَ أَرِيحِهِ
أَرِمَادَ جِسْمِكَ مَا ذَرَوْا أَمْ عَنَبَرًا؟
سَعَدَ الْفِرَاتُ بِقُرْبِهِ فَلَوَانَهُ
مَلْحٌ أَجْجَاجٌ عَادَ عَذْبًا كَوْثَرًا
هَذَا جَزَاءُ أَبِيكَ أَحْمَدَ مِنْهُمْ
إِذْ قَامَ فِيهِمْ مُنْذِرًا وَمُبَشِّرًا

(١) المسك الأذفر: الظاهر الشديد الرائحة.

(٢) كثرت كراماته (عليه السلام)، قال في التحف ص ٧٥: ومنها أنها لما كثرت الآيات في حال صلبه أحرقوه وذروه في البحر فأجتمع في ذلك الموضوع كهيئة الهلال، قال الديلمي صاحب القواعد: قد رأيناه، ويراه الصديق والعدو بلا منازع. ومن كراماته ما جرى مع محمد بن صفوان الجمحي حين قام على منبر مدينة الرسول الأعظم يلعن الإمام زيدًا وأهل بيته، حيث رماه الله في رأسه بصدع ذهب معه بصره في تلك الساعة. - الحدائق الوردية ١/ ٢٦٢.

وَجَزَاءُ نُصْحِكَ حِينَ قَمَتَ بِأَمْرِهِ
وَسَرِيَتَ بَدْرًا فِي الظَّلامِ كَمَا سَرَى
فَاسْعُدْ لَدَى رِضْوَانٍ بِالرِّضْوَانِ مَنْ
رَبُّ السَّمَاءِ فَمَا أَحَقُّ وَأَجْدَرَا
يَهْنِيكَ قَدْ جَاوَرْتَ جَدَّكَ أَحْمَدًا
وَأَنَالَكَ اللهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَرَا
أَهْوَنُ بِهِذِي الدَّارِ فِي جَنبِ التِّي
أَصْبَحْتَ فِيهَا لِلنَّعِيمِ مُخَيَّرَا
لَوْ كَانَ لِلدُّنْيَا لَدَى خَلْقِهَا
قَدْرٌ لَخَوَّلَكَ النَّصِيبَ الْأَوْفَرَا
بَلْ كُنْتَ عِنْدَ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ
مَنْ أَنْ يُنْيَاكَهَا أَجَلٌ وَأَخْطَرَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَكُونُ مَجَاوِرَا
لَكَ أَمْ تَرُدُّنِي الذَّنُوبُ إِلَى الْوَرَا؟
أَأَذُّ عَنْكُمْ فِي غَدٍ وَأَنَا الَّذِي
لِي فِي وَدَادِكَ ذِمَّةٌ لَنْ تُخْضَرَا؟
قُلْ ذَا الْفَتَى حَضَرَ اللَّقَا مَعْنَا وَإِنْ
أَبْطَأَ بِهِ عَنَّا الزَّمَانُ وَأَخْرَا
يَا خَيْرَ مَنْ بَقِيَامِهِ ظَهَرَ الْهُدَى
فِي الْأَرْضِ وَانْهَزَمَ الضَّلَالُ وَقَهَقْرَا
عُذْرًا إِذَا قَصُرَتْ لَدَيْكَ مَدَائِحِي
فِيحَقُّ لِي . يَا سَيِّدِي . أَنْ أَعْذَرَا



المحتويات

- ٣..... مقدمة
- ٥..... كيف نقرأ تاريخ أهل البيت (عليهم السلام)؟
- ٦..... كشفت واقعة كربلاء مدى سوء الذي قد وصلت إليه الأمة
- ٧..... الأمة تدفع ثمن تقصيرها وتفريطها
- ٨..... ما حصل في كربلاء أسس لظلم الأمة وقهرها على طول التاريخ
- ٩..... نهاية الدولة السفليانية
- ١٠..... الأمة الإسلامية في قبضة طواغيت بني أمية
- ١٢..... مصير الأمة التي تفرط في قادتها ورموزها
- ١٣..... لماذا لم يكتب لهذه الثورات النجاح؟
- ١٤..... كيف كان تحرك الإمام زين العابدين علي بن الحسين
- ١٦..... الوضعيات التي يفرضها المتخاذلون
- ١٧..... من هو الإمام زيد؟
- ٢٠..... نشأته المباركة
- ٢٢..... حرصه الكبير على الأمة واستشعاره للمسئولية
- ٢٤..... الرحلة القسرية إلى الشام
- ٢٥..... الإمام زيد يلقي نظرة وداع على قبر جده المصطفى
- ٢٦..... الإمام زيد يحط رحاله في عاصمة الدولة الأموية
- ٢٧..... الدخول الأول
- ٢٧..... الدخول الثاني
- ٢٨..... الدخول الثالث
- ٣٠..... ومن دمشق إلى العراق
- ٣٢..... بداية التحرك الثوري ورسم معالمه
- ٣٣..... الظروف التي تحرك فيها الإمام زيد (عليه السلام)
- ٣٧..... المبادئ التي تحرك على أساسها الإمام زيد
- ٣٩..... تحرك الإمام زيد (عليه السلام) بالقرآن الكريم
- ٣٩..... الإمام زيد كان علماً لكل الأمة
- ٤٠..... الإمام زيد تحرك بدافع المسؤولية الإيمانية
- تحرك الإمام زيد لإحياء مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن



- ٤٠..... المنكر
٤٢. الإمام زيد يبيّن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٤٤..... الإمام زيد يبيّن دور علماء السوء في ظلم الأمة
- ٤٦..... **خروجه (عليه السلام)**
- ٤٩..... **الإمام زيد (عليه السلام) يوصي ولده بمواصلة الثورة:**
- ٥١..... **من وحي ثورة الإمام زيد بن علي (عليه السلام)**
- ٥١..... لماذا نحبي هذه الذكرى؟
- ما الذي جعل الإمام زيد ينهض في ظروف صعبة وحساسة
- ويضحي تلك التضحية؟
- ٥٣.....
- الرسول كان قد قدّم إنذاراً مبكراً بخطر هذا التسلط الأموي
- وبهذا الدور الهدام لبني أمية.....
- ٥٦.....
- الإمام زيد عليه السلام باتت حركته وثورته منهجاً ومشروعاً
- كبيراً امتدت في أوساط الأمة.....
- ٦٥.....
- الإمام زيد عليه السلام مما حرص عليه وسعى له، إحياء مبدأ
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....
- ٦٦.....
- الإمام زيد عليه السلام عمل على إحياء الأمر بالمعروف
- والنهي عن المنكر في واقع الأمة.....
- ٧١.....
- اليوم واقع الأمة على ما هو عليه الامتداد النفاقي في حركة
- الأمة قائم.....
- ٧٥.....
- ٨١..... **دروس وعبر**
- ٨١..... ثورة الإمام زيد هي مدرسة كبرى مليئة بالدروس والعبر..
- ٨٢..... نحن بأسمى الحاجة إلى أن نعود إلى مدرسة الإمام زيد
١. التحرك الجاد ضد الطغاة والمستكبرين وكسر حالة الجمود
- والإذعان.....
- ٨٣.....
٢. الرحمة للأمة والتضحية من أجل عزتها وحرّيتها وكرامتها
- ٨٤.....
٣. استشعار المسؤولية والتحرك الجاد والفاعل.....
- ٨٥.....
٤. كيف نخلع ثوب الذل والخوف.....
- ٨٥.....

٥. البصيرة والوعي ٨٧
٦. عظمة أن ترى نفسك مجاهداً في سبيل الله ٨٨
٧. العزة والحرية والإباء ٨٩
٨. التضحية لتبقى القيم والمبادئ والأخلاق ٩٠
- ٩- الارتباط الوثيق بالله والخشية منه والثقة به والحب له وتقواه: ٩١
- ١٠- الثبات وعدم التراجع ٩٢
- وختاماً ٩٤
- ماذا يعني التوليُّ للإمام زيد؟ ٩٤
- مما ورد في رثاء الإمام زيد بن علي (سلام الله عليه) ٩٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ